مدن لا ترى النور
ابانوب عماد

اسم الكتاب : مدن لا ترى النور
اسم الكاتب : ايانوب عماو
رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٦٢٢٩
الترقيم الدولي : ٩٧٨٩٧٧٨٣٥٠٢٢٧
الطبعة الأولى : ٢٠١٧
مراجعة لغوية ، إخراج واخلي : زحمة كتاب
صادر عن : مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com
دار زحمة كتاب للنشر
za7ma-kotab@hotmail.com
٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كتاب

المشهرة قانونا بسجل تجاري رقم / ٨٤٤٨٦
عضوية اتحاد ناشرين رقم ٨٢٢

مدن لا ترى النور

(عندما يصطدم الحب بالسياسة)

ابانوب عماد

في بلاد لم تكن موجودة يوماً علي الخريطة

في بلاد اللادين...واللانظام

فالأديان مجرد أسماء....والنظام فقط علي الأوراق

في تلك البلاد التي لا تحترم القانون...ولا تحترم الحريات...ولا تحترم الحقوق...ولا تهتم بمواطنيها ولا تهتم بصحتهم ولا تعليمهم

تلك البلاد التي لا يهتم زعماؤها سوي بمصالحهم الشخصية

لن تجد الحب

فالورد لا ينبت علي الصخر...وأن نبت يموت

كذلك الحب .

الفصل الأول

الحارة

دخل رجل وقور وقد خط الشيب رأسه الحارة القديمة في الحي المنسي القديم...نظر إليها كأنه لا يعرفها...وقال لنفسه:

ماذا حدث؟...أين الحارة وأين الذكريات؟...هل هي ويلات الحرب؟

وهل تغير الحروب ملامح الشوارع... وأن غيرت ملامح الشوارع و الطرقات والبيوت ...هل تتغير ملامح الوجوه؟

انتهت الحرب منذ سنين.

لماذا جميع الوجوه غير مألوفة؟...هل عشرون عاماً كفيلة بتغير الكون؟...كل شيء تغير كلياً...كل شيء يعرفه قد اختفي.

المدرسة القديمة...الزاوية...السبيل...أين الحارة التي تربينا بها جميعا؟...القهوة التي كان يجلس عليها...ويستمع إلى الأخبار ويسمع الأغاني في المذياع...أين صوت المذياع؟

وأين أين القهوة ومدخني الشيشة ؟...أين دخانها الذي يملأ قلبه شجناً؟...أين ذهبت هذه الأشياء؟

أين المدرسة الآن وأين الأستاذ طلحة؟

كان كل شيء قد تغير...كأنه أخطأ في العنوان كان يظن أن هذا المكان محمي من الزمان وأفاعيله...تماما كذاكرته.

فقد أصاب الضعف جسده...وأقعده المرض والحزن والشقاء

لم يعد قادرا علي الحركة مثل السابق بعد أن كان شعلة في النشاط والحيوية...أخذ منه الله كل شيء...ومنحه ذاكرة من حديد لا تنسي شيئاً مهما كان صغيراً...كان يظن أن هذه الحارة محمية من الزمان كذاكرته...ولم لا وقد اختبر فيها الحب لأول مرة في حياته.

في زمان غير الزمان...وفي مكان لا يشبه هذا المكان كان شاباً لا يتجاوز عمره السابعة عشر...كان شاباً يافعاً مفعماً بالحيوية والنشاط وكان طالباً بالمدرسة الثانوية...كان عبقرياً...كان دائماً الأول علي صفه دون منافس...كان الفائز في أية مقارنة بينه وبين أي شاب في مثل سنه.

كان مثالاً للأدب والأخلاق والذكاء والتفوق...كان نابغة الحي...و كان متيماً بقراءة الشعر والأدب والروايات.

لكنه كان وحيداً...لديه من الأهل والأقارب ما يكفي...ومن الأصدقاء ما يفيض...لكنه كان دائماً يشعر بالوحدة...لم يكن أحد يفهمه أو يهتم لمشاعره...كان دائماً يظن الجميع أنه أسعد البشر...فهو ذلك الفتي الذكي الأول علي صفه المحبوب من الجميع...ولكنه كان أبعد ما يكون عن السعادة.

ظل هكذا حتي ذلك اليوم...لا يعلم تحديداً هل أن هذا اليوم هو سر سعادته أم سر شقائه.

يوم ما أنتقل الأستاذ سيد للعيش معهم في الحارة هو وزوجته وأولاده و التي كانت من ضمنهم أماني...آية العفة والطهر...والذكاء الحاد ، لم تكن جميلة...لم تكن تلك الفتاة من النوع الذي يسحرك جمالها بمجرد رؤيتها...ولكنها كانت مرنة...لطيفة...ذكية عيناها يشعان سحراً يأسر القلوب...من يستطيع أن يقاوم سحر تلك العيون...من يستطيع أن يمنع نفسه من التفكير في تلك العيون التي تنبض بالحياة.

كانت في مثل سنه...وفي نفس مرحلته الدراسية وجد أخيراً منافسا له...لم تكن في مستواه الدراسي ولكنها كانت تمتلك حضوراً وشخصية يجذبان أنظار الجميع.

اشتعل الحب في قلبه منذ اللحظة الأولي التي رآها فيها...اشتعل فؤاده بحبها...واحترقت أحشاؤه من شدة الهوي.

حتي مرض وظهرت عليه أعراض السقم مما دعى والديه للجوء إلى الأطباء.

وكيف للأطباء أن تعلم ما به من سقم وهي لا تعلم أن أحشاءه تحترق.

زهد الأكل ومجلس الأصدقاء. وفقد قدرته علي الاستيعاب والتحصيل حتي انخفضت درجاته بشدة...ولم يكن أحد يعلم ما

حدث له...لأنه لم يكن يفصح بما في داخله لأي شخص...لأنه كان لا يثق في أحد.

حتي جاء يوم النتيجة...وعلي عكس ما كان متوقعاً...فقد كان يتوقع أن يكون الأول كعادته...وأن يلتحق بكلية الطب أو الهندسة.

لكن هذا لم يحدث...فقد أدخله مجموعه كلية الحقوق.

لم يحزن...ولم يفرح...ولم يبال فلم تكن الحياة تعني له شيئاً فقد أصبح عقله منشغلاً بها كأنه مسحور...خاصة بعد انقطاع أخبارها بعد انتهاء الدراسة ولذهابها إلى بلدتها القديمة لزيارة أقاربها.

تحسنت حالته بعد ذلك خلال الإجازة الصيفية...إعتاد الجلوس علي القهوة... خالط الأصدقاء وتكلم معهم...ولعب معهم النرد والشطرنج...تعلم شرب المعسل والشيشة...كان يدخن الشيشة وينفخ كأنه ينفخ همومه مع كل نفس يخرجه من رئتيه...كان يستمتع بإدخال سمومها العطرة إلى رئتيه...فرائحتها كانت ومازالت تملأه شجنا.

ظل حياته هكذا بلا معني... كان يمثل السعادة ويخفي ما بداخله حتي لا يحرق قلب والديه ...يكفيهم ما سببه لهم من الألم وخيبة الأمل بعد نتيجته...لكن قلبه لم يرتح يوما...ولم تغب صورتها عن عينيه.

ظل علي هذا المنوال حتي أول أيام الكلية...سافر إلى كليته في العاصمة وهو لا يعلم تحديداً ماذا سيفعل...أو ما هو هدفه...لم يكن له هدف معين...ولا أحلام ولا طموح....بعد أن تحطمت كل أحلامه و أمانيه علي صخرة الحب.

ولكن هذه الحالة التي أصابته من اليأس والاحباط لم تستمر طويلاً لأنه سرعان ما اكتشف أن أماني...(أمنية الأماني) طالبة مقيدة في كلية الحقوق الفرقة الأولي...مثله تماماً.

ماذا كان يتمني أكثر من ذلك...فلتذهب الهندسة والطب إلى الجحيم.

هل يوجد الآن أجمل من كلية الحقوق؟

الآن هو هنا...في العاصمة...في الحرم الجامعي...بعيداً عن الحارة وأهلها...بعيداً عن العرف والتقاليد...بعيداً عن بلدته كلها...حياة جديدة كلياً...لا يعرف فيها أحداً غيرها.

وكان الكون قد تأمر لإسعاده...ويشاء القدر أن يجدها بجانبه في المدرج داخل أول محاضرة في القانون الجنائي...بدأ يشك أنه يحلم فقرر أن لا يضيع هذه الفرصة الذهبية التي لن تتكرر مجدداً ولا في أحلامه...سرعان ما تعرف عليها...وسرعان ما اشتعل الحب في قلبه أكثر وأكثر...أن كان في الماضي قد فتن بسحر عينيها...اليوم قد فتن بنعومة صوتها...ورقة أسلوبها.

كانت سنوات الكلية أروع سنوات حياته...فقد تطورت علاقته بها جداً كانا لا يفترقان إلا للنوم...فيذهب هو إلى شقته التي استأجرها

هو وبعض الأصدقاء الذي كان من ضمنهم أحمد صديق الطفولة والذي التحق معه بكلية الحقوق.

وتذهب هي إلى سكن الطالبات الملحق بالجامعة...ثم يلتقيان من جديد في الجامعة.

وعلي الرغم من هذا وعلي الرغم من أنهم كانوا دائما يخرجون ويلهون ويذاكرون ويفعلون كل شيء سويا.

لم يجرؤ يوماً أن يصارحها بحبه...وكان دائماً يؤجل هذا القرار إلى وقت لاحق...كانا فعليا مجرد صديقين...علي عكس ما كان يتضح عليهما...وما يظنه الناس.

عندما أتما دراستهما كان عليه أن يصارحها بحبه لكن عقله الآن أصبح مشغولاً بما هو أكثر اهتماماً من الحب...فقد فتن من جديد ولكن هذه المرة بالسياسة...كانت أوضاع البلاد في تلك الفترة غير مستقرة...والحرب علي الأبواب والجميع يترقب الأحداث التي أصبحت تسير بسرعة الصواريخ ،انقسم المجتمع في ذلك الوقت إلى نصفين...نصف يؤيد قرار الحرب ويدعمه...ونصف آخر يؤيد الحلول السلمية ويري أن الحرب لن تجلب سوي الخراب.

كان هو من أصحاب الرأي الثاني...فهو لم يمل يوماً إلى العنف والدم...وكان يعلم جيداً أن كل شيء يمكن حله بالمفاوضات السلمية.

كذلك حاكم الدولة في ذلك الوقت...ولكن في النهاية غلبت الكفة الأخرى...لا لكثرة مؤيديها بل بالعكس...ولكن لتأييد الجيش لفكرة الحرب.

وكأنه السحر أصاب البلاد...انقلبت الأوضاع في أقل من أسبوع...تم القبض علي حاكم الدولة وعزله من منصبه بتهمة التراخي في الدفاع عن الدولة والخيانة العظمى...وتم إعدامه في ميدان عام علي مرأى ومسمع من الجميع ليكون عبرة لمن لا يعتبر...ونشرت الصحف والأخبار صور الإعدام أياماً وأياماً.

ثم نسبت إليه العديد من التهم الإضافية كالسرقة والاختلاس والتخابر وتم تجريم الفكر المعارض وتم القبض علي رؤوس المعارضة وإلقاؤها في المعتقل...وهتف الشعب وفرح بهذه القرارات فرحاً عظيماً...فقد تخلصوا من الطغاة والفاسدين إلى أبد الآبدين والآن ستصير بلادهم أفضل وستتقدم.

ردد الجميع الهتافات التي تطالب الجيش بسرعة إعلان الحرب...كأنهم قد نسوا ويلات الحروب السابقة...وكان الجميع قد أصيب بداء التقلب...فمن كان يهتف الأمس بعدم ضرورة الحرب...أصبح يهتف اليوم مع القطيع.

كيف انقلبت الآراء هكذا...هل جد شيء لا يعلمه هو؟

أم أنه الخوف؟...أن الأنظمة التي تجبر مواطنيها علي رأي معين هي أنظمة فاشلة...ولكن هؤلاء الأشخاص من أجبرهم؟

من حملهم علي تغير آرائهم بسرعة هكذا...هل السبب هو إعدام الحاكم بهذه الطريقة البشعة أمام الجميع؟...هل السبب هو القبض علي رؤوس المعارضة؟

هل الاختفاء القسري لعشرات الأشخاص يغير آراء الملايين؟

سأل مجدي نفسه في ذلك الوقت سؤالاً وجودياً...هل أنا الوحيد الذي لم تصبه العدوي؟...أم هناك الكثير مثلي؟

لم يحتج الكثير من الوقت ليجد الإجابة علي سؤاله...فقد أعلنت الحكومة الأحكام العرفية...وتم القبض علي جميع من تجرأ وجهر بمعارضة فكرة الحرب...فعلم أنه ليس وحيداً.

لا أحد يستطيع أن ينكر أن نظام الحكم السابق كان نظاماً ديكتاتورياً فقد فرح الجميع برحيله كما فرح مجدي نفسه بذلك...فقد تمني أن تتطور البلاد بعد رحيل النظام الديكتاتوري.

ولكن مجدي كان يسأل نفسه دائما سؤالاً وجودياً في غاية الأهمية هل انتهينا حقا من النظام الدكتاتوري السلطوي لنقع تحت سطوة النظام الشمولي!!؟

يذكر مجدي جيداً تلك المحاضرة جيداً التي شرح فيها الدكتور الفرق بين الأنظمة الشمولية والأنظمة الديكتاتورية.

بدأ الدكتور كلأمه قائلا:-

"في الحقيقة الفرق كبير بين الديكتاتورية والشمولية...مع أن الأنظمة الشمولية في نهاية المطاف هي النسخة المتطرفة والوجه القبيح للأنظمة الديكتاتورية...ولكن علي الأقل تهدف الأنظمة الديكتاتورية إلى السيطرة علي السلطة السياسية وقرارات الدولة... ولكن الأنظمة الشمولية تختلف كلياً عن هذه الأنظمة.

فالأنظمة الشمولية تهدف إلى كل ما تهدف إليه الأنظمة الديكتاتورية بالإضافة إلى السيطرة على كل جوانب الحياة تقريباً.

فهذه الأنظمة تهدف إلى السيطرة علي الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والفنية والعلمية وحتي الدينية...أنها تخترق في أعماق الهيكل الاجتماعي للدولة."

لم يكن مجدي في حاجة إلى إعلان رسمي يوضح أن الدولة قد تحولت بين ليلة وضحاها إلى دولة شمولية.

فعندما تفرض الدولة السيطرة علي الإعلام والفن من تغيير وإلغاء أي محتوي لا يتناسب مع سياستها.

عندما تفرض سيطرة عامة علي جميع المؤسسات الرسمية والغير رسمية.

عندما يتم تغيير المناهج الدراسية وحذف ما يتعارض مع سياسة الدولة.

عندما تفرض الخطب الدينية علي دور العبادة بمختلف الطوائف. عندما تحرم علي الناس الفكر ويتم القبض علي كل معارض يختلف مع الدولة في الفكر والمنطق.

عندما يحدث كل هذا في الأيام الأولي في الحكم يجب أن نعرف أننا بصدد البدء بالحياة مع نظام شمولي متكامل.

عندما تذكر مجدي تلك الكلمات لم يصب بالهلع...ولم يمثل له كارثة...ولكن الكارثة الحقيقة في شخصية الحاكم الجديد...ونظرة المجتمع له.

فالحاكم السابق كان مجرد شخص طامع في السلطة ويسعي للحفاظ عليها...كان حكمه قائماً علي الترغيب والترهيب....الشد والجذب...عن طريق زرع الخوف في قلب المعارضين...

ومكافئة المخلصين...كان يفتقد إلى الأيديولوجية[1]...ولم يكن أحد يحبه...وهو لم يهتم بحب الناس يوماً فقد كان شغله الشاغل هو الحفاظ على السلطة بأية وسيلة ممكنة...وجمع أكبر كمية من

[1] الأيديولوجية:- الأيديولوجيا هي علم الأفكار وأصبحت تطلق الآن على علم الاجتماع السياسي تحديداً ومفهوم الأيديولوجيا مفهوم متعدد الاستخدامات والتعريفات، فمثلا يعرفه قاموس علم الاجتماع بمفهوم محايد باعتباره نسقاً من المعتقدات والمفاهيم (واقعية وعيارية) تسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منطق يوجه ويبسط الاختيارات السياسية أو الاجتماعية للأفراد والجماعات وهي من منظار آخر نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات و الأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية و الأخلاقية و الدينية و السياسية و الاقتصادية وتبررها في نفس الوقت.

الأموال... وبالطبع أدى ذلك إلى توليد حكومة كليبتوقراطية[٢] في نهاية المطاف.

أما الحاكم الجديد فهو أكثر ما يخيف مجدي...فعلي عكس الحاكم السابق الذي لم يكن له مؤيدون ولا شعبية...وكان الشعب يتمنى أن يرحل اليوم قبل الغد.

كان الحاكم الجديد له شعبية ساحقة فقد استطاع أن يوهم الشعب بأنه أسس نظاما أشبه بالديمقراطي[٣]...من خلال التلاعب بالوعود الكاذبة وأماني الشعب والحقائق اعتماداً علي جهل الشعب وعدم قدرته علي التمييز بين الصدق والكذب...فخلق لنفسه صورة شبه نبوية لشخصيته.

---

[٢] كليبتوقراطيه :- هو مصطلح يعني نظام حكم اللصوص. وهو نمط الحكومة الذي يراكم الثروة الشخصية والسلطة السياسية للمسؤولين الحكوميين والقلة الحاكمة، الذين يكونون الكربتوقراط، وذلك على حساب الجماعة، وأحياناً دون حتى ادعاءات السعي إلى خدمته هو عادة ما يكون نظام الحكم في تلك الحكومات في الأصل ديكتاتوريًا أو استبداديًا، ومع ذلك فقد تظهر الكليبتوقراطية في بعض النظم الديموقراطية التي انزلقت إلى الأوليجاركية (حكم الأقلية واحتكارهم للسلطة)

[٣] الديمقراطية:- هي شكل من أشكال الحكم يشارك فيها جميع المواطنين المؤهلين على قدم المساواة - أما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين - في اقتراح، وتطوير، واستحداث القوانين. وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمكن المواطنين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. ويطلق مصطلح الديمقراطية أحياناً على المعنى الضيق لوصف نظام الحكم في دولة ديمقراطيةٍ، أو بمعنى أوسع لوصف ثقافة مجتمع. والديمقراطيّة بهذا المعنَى الأوسع هي نظام اجتماعي مميز يؤمن به ويسير عليه المجتمع ويشير إلى ثقافةٍ سياسيّة وأخلاقية معيّنة تتجلى فيها مفاهيم تتعلق بضرورة تداول السلطة سلميا وبصورة دورية.

لا أحد يعلم كيف صدق الناس تلك الوعود الهلامية بتحويل الدولة إلى صورة أخرى في سنوات قليلة...أيمتلك ذلك الحاكم قدرات خاصة لا يعرفها الشعب؟

هل عانوا من قبل من التوجيه الفكري مثل الوقت الحالي؟

ألم يكن لهم في السابق مجال أكبر لإبداء الآراء والحياة الخاصة؟؟

ولا أحد يعلم أيضاً كيف صدق الشعب وهم الديمقراطية الجديدة؟

ألم يكن هناك تعددية في النظام المجتمعي؟...الم يكن هناك معارضة؟

في الماضي كانت الدولة تمارس سلطتها ضمن حدود.

لكن الآن كل هذا ذهب مع الريح...لا أحد يمجد الأنظمة الديكتاتورية ولكنها لا تقارن بالأنظمة الشمولية.

والكارثة الحقيقية أن أغلبية الشعب من الفقراء والمهمشين يصدقون النظام وتأله الحاكم.

ولا يستطيع أن يلقي عليهم أحد اللوم...فلا ذنب لهم في جهلهم وفقرهم...أنهم ضحايا نظام كان كل همه جمع المال وسرقته.

لا أحد يلومهم إن صدقوا الوعود الكاذبة التي تتلوها الحكومة.

فهم أنقياء لا يفهون السياسة ولا يتقنونها...يصدقون كل ما يقال لهم مثل الأطفال...فهم لا يكترثون سوي للقمة العيش...جعلتهم الدولة في الماضي هكذا...هي لا تريد مفكرين ولا معارضين...تلك الدول تريد فقط شعباً أقصى أحلامه أن يجلب الطعام له ولأولاده.

الفقر هو السلاح الذي تشهره الدولة في وجوههم وهم لا حول لهم ولا قوه...ما أقبح الفقر...وما أجمل الفقراء.

كانت كل هذه الأفكار تدور في مخيلة مجدي وكان يسأل نفسه دائما هل أنا مخطئ بشأن أفكاري...أم هم المخطئون.

بالطبع لم يكن مخطئاً...ولكنه لم يستطع أن يتعامل كثيراً مع أشخاص يختلفون معه في التوجه السياسي خوفا من أن تفلت منه كلمة لا يريد أن يقولها...فتوشي بيه للحكومة...ليجد نفسه في معتقلاً مثلا من سبقه.

واكتفي ببعض الأشخاص الذين كان لهم نفس التوجه الفكري...ونفس التوجه السياسي.

كان يعيش مجدي في تلك الفترة بين دوامة من الأفكار تعصف بقلبه وكيانه.

كان لا يعلم ماذا عليه أن يفعل...كان يخشى علي وطنه وعلي أهله...ولكنه كان أيضاً يخشي علي نفسه ولا يريد أن يرى نفسه خلف القضبان تفصل بينه وبين حب عمره.

في كل لحظة كانت تمر كانت الدولة تنهار...وحبه يزيد...ولكن كيف؟

كيف سيعلن لها عن حبه في دولة تجرم الفكر؟...كيف سيعلن عن حبه لها وهو لا يرى أي ملامح للمستقبل؟

هل هو قادر حقا علي الزواج في مثل هذه الدولة؟؟

وهل سينجب أطفالاً في مثل هذا المجتمع؟؟

هل سيرى أولاده مغيبين يهتفون ضمن القطيع المغيب؟؟

أم يراهم معارضين نهايتهم الرصاص أو السجون؟؟

لا أحد يعلم...ولا حتي هو يريد أن يعلم.

ماذا عليه أن يفعل؟

لم تدم حيرته طويلاً...فعندما أعلنت الحرب رسمياً...فرض التجنيد الإجباري علي جميع الشباب وكان هو من ضمن هؤلاء الشباب الذين تم اختيارهم للدفاع عن فكرة لم يؤمن بها يوماً.

الفصل الثاني

أحببت عاهرة

تعجب مجدي من تلك الذاكرة الحديدية وما تفعله بالإنسان...وقدرته العجيبة علي تذكر الأحداث بتلك الدقة...لقد مر علي هذا الزمن أكثر من عشرين عاماً...فكيف يتذكر كل تلك التفاصيل...وإنه يتذكر التفاصيل...لكن أين تلك التفاصيل التي تسكن في ذاكرته؟

صار يسير في المنطقة التي تربى فيها ولا يعرف إلى أين يهتدي؟

لا البيوت هي البيوت....ولا الوجوه هي الوجوه.

فقد تغير كل شيء...إنه لا يشك بذاكرته لكنه الزمان وأفاعيله

تذكر أصدقاء الصبا وابتسم حتي انفرجت شفتاه...جلس علي الرصيف بعد أن شعر بالألم ينخر في جسده.

هنا تحديداً...في نفس هذا المكان نشأت أولي علاقته الاجتماعية...هنا كون الأصدقاء....وهنا تسامر معهم ولعب حتي مطلع الفجر.

هنا عشق الجوزة والمعسل...وأنس الليالي بصحبة الشيشة والفحم.

في هذا المكان عندما كانت الشوارع واسعة...والبيوت غير متلاصقة...والهواء نقياً وهادئاً...فلم يكن هناك آثار للحروب ولا العوادم ولا التلوث...في هذا المكان تحديداً التقت عيناه لأول مرة بأماني...(أمنية الأماني)...وعلي هذه القهوة...أو التي كانت في مثل هذا الوقت قهوة...قام بتلاوة اسمها علي مسمعه آلاف المرات.

عادت حياته تدور أمام عينيه...وتمثلت أمامه مثل شريط الفيديو.

وانتابته أحاسيس غريبة...وتغيرت ملامح وجهه تارة بملامح عابثة...وتارة بملامح سعيدة...كأنه يشاهد قصته لأول مرة...كأنها حياة شخص آخر...وكأنه لم يعش تلك الحياة...ولا كتبها بدمه.

وبالطبع طار به عقله ذكريات حبه لأماني...(أمنية الأماني).

يوم التقى بهت وجهاً لوجه...وكأنه بالأمس.

كانت قصة حبه لأماني من ضمن تلك القصص التي تحدث كل يوم بل كل ساعة...لم تكن قصة عظيمة تحتوي علي التضحية أو العذاب...لم تكن مثل قصة روميو وجولييت...أو قيس وليلى.

خاصة أنه لم يكن بها شيء مميز عن جميع البنات...ولكنها لسبب ما كانت تسكن في قلبه...أحلامه...وحتي أنفاسه...لم يكن يفكر في شيء غيرها...فقد كانت بالنسبة له النبض الذي يجعل الحياة تستمر. كانت عنده أهم من الطعام والشراب...ومن الهواء الذي يتنفسه. تذكر أيام الجامعة...تذكر النظرات والتلميحات...لم تكن

أماني يوماً جميلة...لكنها تلك الفتاة التي يتهافت الجميع للحصول علي نظرة من عينيها ويموت فرحاً من نظرة إعجاب منها...لم يكن أحد يعلم ولا حتي هو يعلم ما المميز في تلك الفتاة...ولكنها في الحقيقة ولسر مجهول كلياً...كان الكثير يعشقها...ويتمني وصالها.

إنه سحر العيون...إنه سحر البراءة الطيبة التي تتساقط منها...إنه سحر العفة والأدب.

هذا السحر الذي يخطف القلوب والعقول معاً...وفعل الرقة...كانت مطمعاً لكثيرين....ولم يكن الوحيد الذي يتنافس علي قلبها.

****

كان مجدي شخصية اجتماعية...كان لديه الكثير من الأصدقاء كان ودوداً ولطيفاً وحسن المعاشرة...كان يحب الجميع...ولم يكن يوماً سليط اللسان...غير عدواني ويحب الجميع...بالإضافة إلى ثقافته وعلمه وذكائه الحاد...مما جعل الجميع يحبونه...ويتوددون لمصادقته.

ولكن مجدي كان صاحب فكر سياسي...كان امتلاك فكر في ذلك الوقت جريمة تستوجب العقاب...لم يكن يحلم بأكثر من الحرية...لم يحلم بأكثر من حقوقه كمواطن حر في دولة تدعي الحريه...كما تدعي العاهرة الشرف.

لم يطالب بأكثر من حقوقه ولذلك اعتبره الجميع صاحب فكر متطرف!!!

وخاف علي نفسه من السجن والمعتقل...ففي تلك الأيام كان لا أحد يستطيع أن يحدد أين جواسيس الحكومة الذين انتشروا في كل مكان.

انحسرت علاقته في تلك الفترة علي ثلاثة من الأصدقاء المقربين الذين كان يثق بهم ويعرف جيداً أن أفكارهم مشابهة جداً لأفكاره ومعتقداته السياسية والفكرية...أحمد صديق طفولته والذي يسكن معه في الشقة التي استأجرها ليعيش بها أثناء الدراسة...ورامي وغادة أصدقاؤه من الجامعة...وبالطبع بالإضافة إلى أماني.

كانت تجمعهم نفس الآراء السياسية مع بعض الاختلافات البسيطة التي لا تؤثر علي صلب القضية الرئيسة.

ظلت العلاقة بينهما علاقة أخوة وصداقة...ولم يكن أحد يعلم حقيقة مشاعره سوي أحمد وغادة...كانت غادة صديقته المقربة إلى قلبه...كان يرتاح دائماً للحديث معها...كانت دائماً تقف إلى جانبه...تقويه وتشد أزره في أوقات ضعفه...وكانت بئر أسراره.

كان يطلعها علي كل شيء حتي تلك الكتابات والأشعار الرديئة التي كان يكتبها لأماني ولم تقرأها يوما...كانت تلك القصائد مكتوبة بلغة صبيانية ركيكة...تحتوي علي القليل من الجمل البليغة...والكثير من المشاعر الحقيقية.

وحتي ذلك الرسم السيء الذي لم يكن يشبه أماني من قريب ولا من بعيد...كانت غادة الإنسان الوحيد الذي رآه.

كان يجتمع الأصدقاء غالبا في العطلات صباحاً في كازينو علي شاطئ البحر يتبادلون الأحاديث...ويجتمع الرجال فقط في المساء علي القهوة مساءاً يلعبون النرد...ويدخنون المعسل.

وعلي الرغم من تدهور الأوضاع السياسية في البلاد إلا أن تلك الفترة وكل الأفكار السلبية التي كانت تعصف بعقل مجدي.

كانت من أحسن أيام العمر...برغم كل شيء مليئة بالألفة والصداقة والحب...والآمال والأماني.

ظل الحل هكذا حتي اجتاحت البلاد المظاهرات وانتشرت كالوباء في كل أنحاء البلاد.

لم يكن مجدي شغوفاً بفكرة المظاهرات أو الإضراب كان يراها مضيعة للوقت واستنزافاً للطاقات...ولن تغير في الواقع شيئاً.

كان يعلم جيداً أنه لا قيمة للمظاهرات في تلك الدول التي لا تحترم حرية الإنسان ولا رأيه...فلا يمكنني أن اذهب لأهتف برأي فترد علي برصاصك...إن الفكر لا يقاوم إلا بالفكر ... لكن حين يقابل الفكر بالرصاص...يكون هذا خارجاً تماماً عن الحريات والحقوق... وفي هذه اللحظة تنهار جميع القيم ويفقد الإنسان قدرته علي التعبير ويحتفظ بأفكاره لنفسه إن كان يحرص علي حياته...علي العكس من رامي الذي كان أكثر شغفاً بها...استمرت المظاهرات يوماً بعد يوم.

وكانت أعداد المتظاهرين تتناقص باستمرار في كل مرة بشكل ملحوظ.

وتساءل الجميع هل يتم تصفية المتظاهرين من قبل الحكومة؟؟ ... أم أنه الاعتقال؟

أم أنه الخوف الذي يمنع الناس من أن يكملوا حلمهم ويحققوا أهدافهم ويحافظوا علي حقوقهم؟

ولكنه عرف الإجابة علي تساؤلاته عندما هاجمت قوات الحكومة المتظاهرين وأحاطتهم من كل مكان وأطلقت عليهم النار الحي والخرطوش والغاز المسيل للدموع...فتفرقت الجموع مثل قطيع الخرفان عندما يهاجمهم الذئب...تشتتوا في جميع الاتجاهات. مات من مات...وأصيب من أصيب...واعتقل من اعتقل.

ولكن أين رامي من ضمن كل هؤلاء؟

لم يكن رامي من ضمن قائمة المعتقلين التي القت الحكومة القبض عليهم...أو المصابين الذين استقبلتهم المستشفيات.

ولم تكن جثته بين تلك الجثث المرمية التي ملأت الشوارع والحواري.

اختفى رامي وكأنه تبخر...أو أن الأرض انشقت وابتلعته.

حزن الجميع عليه...وتورمت مقلتهم من كثرة بكائهم .

أهو حي يرزق؟...أم أنه يقف الآن بين يدي الخالق الأعظم؟؟

لم يكن اختفاء رامي هو أسوأ الأحداث ولا أكثرها غماً علي قلب مجدي لكنه كان أول المصائب...والمصائب لا تأتي منفردة.

فسرعان ما مرضت غادة مرضاً عضال...عجز الأطباء عن علاجه. لا أحد يعلم هل هذا بسبب حزنها علي رامي؟...أم أنه مجرد مرض.. كان الله وحده يعلم كم أحبت غادة رامي...كانت تحبه من كل قلبها ووجدانها وشعورها...أحبته كما لم يحب أحد شخصاً من قبل...أحبه واخلصت في حبه...كان هذه اعظم قصص الحب التي رآها مجدي في حياته...وكان يعتبر حب رامي وغادة اعظم من حبه لأماني مليون مره...وكم تمني أن تحبه أماني في يوم نصف ما احبت غادة رامي... فقد احبت غادة رامي حتي ارتبطت روحها بروحه إلى الدرجة التي لم تستطع العيش بدونه...في الحقيقة أنها لم تستطع العيش فعليا بدونه وسرعان ما تدهورت حالتها.

ظل الجميع يتذكر آخر كلمات لفظتها قبل أن تغادر هذه الحياة المزرية.

ابتسمت وقالت "لا تحزنوا...علي الأقل سأعرف الآن أين هو وسيطمئن قلبي عليه" وأغمضت عينيها وفارقت الحياة.

كانت تلك الفترة من اسوأ الفترات السياسية التي مرت علي البلاد. كانت المقابر مزدحمة بالجثث واصبحت المقابر تبني أغلي من البيوت لندرتها وكثرة الحاجة إليها.

ففي الدول القمعية.. لا تتعجب إن تحولت الحدائق إلى مقابر.

فلا ثمن للإنسان في تلك البلاد...ومن لم يمت بالرصاص...مات بسبب الاهمال الصحي والفقر والجوع ، مما اضطر أهل غادة إلى دفنها وحيدة في الخلاء...لعدم قدرتهم علي ثمن القبر في ذلك الوقت. وعندما تم الدفن تمتم مجدي في سره قائلاً

"مساكين أهل العشق حتي قبورهم

عليها تراب الذل بين المقابر"

كانت المرة الأولي الذي يقابل فيها حقيقة الموت....ولكنه لأول مرة فكر فيما بعد الموت...ما مصير تلك الفتاة التي دفنت في التراب؟...وما الذي ينتظرها؟

جعله هول الفاجعة يشعر بصغر الدنيا وقلة قيمتها وشعر بأنها لا تساوي شيئاً...يا الله.. أين أنت الآن يا رامي.

أعز عليك أن تحضر عزاء تلك الفتاة التي أحبتك وأخلصت في حبك حتي الموت؟؟

ما هو سرك؟ وأين أنت الآن يا تري؟

لا أحد يعلم...ولكنه الآن يتواجه وجهاً لوجه مع حقيقة العمر القصير...الدنيا التي قد نغادرها في اية لحظة...وبدون سابق إنذار.

عاد الصراع الداخلي يمزق أحشاءه من جديد.

وأصابته فترة من الزهد حتي اتهمه الأصدقاء بالجحود وتغير مشاعره تجاههم...كما اتهموه بالإلحاد السياسي لاعتزاله السياسية وشؤونها في ذلك الوقت.

لم يكن ألحد بقضية الوطن كما اعتقد البعض...ولكن قلبه كان قد امتلاء بالحزن وزادت مصيبته عندما تم استدعاؤه في الجيش.

هل سينضم حقا للجيش؟ هل سيحارب أناساً لا يعرفهم ويقتل منهم أشخاصاً أو يقتلوه هو لأسباب يرفضها

ولا يتفق معها...هل حقا سيحارب ويطلق النار علي الناس من أجل تلك الأفكار التي اختفى صديقه وهو يحاربها؟؟ وماتت في إثر الاختفاء صديقته المقربة؟

ماذا يستطيع أن يفعل...وأماني...عليه حقا أن يخبرها بسرعة فالوقت يمر...ولا يضمن ما يخبؤه الغد له.

ولكن كيف يفعل ذلك...إنه لم يملك يوما الشجاعة الكافية ليخبرها بذلك حتي في أحسن الظروف...فكيف سيعترف لها الآن؟

ولكنه قرر أن يترك لها خطابا...لديه منهم الكثير في درج مكتبه...الذي اكتظ بالأوراق التي احتوت رسائل الحب والغرام.

ولكنه قرر أن يكون خطاباً جديداً كلياً...تمني لو أن غادة كانت هنا ليقرأ عليها الخطاب كما كان يفعل في السابق ليأخذ رأيها ولكنه كان.

يشعر بروحها دائما تقف إلى جانبه...تشجعه وتسنده كما كانت تفعل دائما...كانت عموده الفقري.

أمسك ورقة وقلم وبدأ في الكتابة

أماني...(أمنية الأماني)

"مش هعرف هبدأ منين أو هجيب شجاعة منين اكمل الجواب ده...بس احنا نعرف بعض من سنين...وأنا اعرفك من قبليها بسنين...عيناكي سر سعادتي...وسر شقائي...حبك في قلبي يحرق أحشائي...ويدي ترتعش وقلمي يهتز...قلبي يخفق من شدة التوتر...كتبت كلام كتير ومزقته...معنديش كلام كتير اقوله مع أن قلبي فيه بحر كلام...عيناكي سر الكون في ترنيمه أنا...أنا فقط أحبك ولم احب يوما أحدا غيرك.

احبك يا أماني...لا اعرف ما هو ردك.

الجميع اخبرني أنك تبادليني نفس المشاعر...ولكنني أريد أن أسمع منك أنت.. أحبك.. وسأظل احبك ما حييت."

إمضاء

مجدي

كان كلاما ركيكا...لا يرتقي لرتبة الهراء...كان عشوائياً...غير مرتب...ومشتت...وغير منظوم.

لكنه كان كافياً لإيصال مشاعره...والتعبير عما يشعر به.

وضع ورقة داخل مظروف وانتظر...جمع شجاعته وسلمها المظروف...وطلب منها الرد بنفس الطريقة...لكن الرد جاءه بطريقة مختلفة تماماً.

لم يستطع أن يذهب إلى البيت في ذلك الوقت...ولم يجد الألفة في الصحبة فقرر الجلوس وحيدا...وذهب إلى القهوة مبكرا علي غير موعده.

جلس في مجلس غير مجلسه المعتاد يدخن المعسل في صمت.

حتي فوجئ بأحمد يقتحم القهوة بحثا عنه...وكانت عيناه تنزر بالشؤم والغدر.

وعندما تقابلت عيونهما تقدم أحمد إلى مجدي وأخذ يصيح حتي سمع كل الجالسين صياحه

"أيها الكلب الجبان...أيها الخائن...أيها ال... " وقبل أن يسأل مجدي أحمد عن سبب ثورته كان أحمد قد صفعه بالقلم فنزل الدم من أنفه من شدة الصفعة...ونشبت معركة بين الاثنين تكسر في ذيلها الزجاج والكراسي حتي انطرح الاثنان أرضاً من شدة الإعياء والضرب ومجدي لا يفهم سبباً لما حدث حتي الآن.

ولكنه عندما أفاق عرف حقيقة الأمر...كانت أماني علي علاقة حب مع أحمد...ولم يكن يعلم...لم يكن أحد يعلم...كانت أماني علي علاقة بأحمد منذ السنة الأولي بالكلية...ولكنها لم تخبر أحداً...ولم يعلم أحد بهذا...إن كانوا حقاً علي علاقة لماذا أخفت علي الجميع؟ وفكر مجدي هل كانت تكذب عليه كل تلك المدة...صحيح أنها لم تخبره يوماً أنها تحبه ولكن النظرات....الكلمات...السهرات الطويلة والمحادثات الشخصية بالساعات...التلميحات...والابتسامات...وتلك الكلمات والهمسات التي تخرج عن إطار الصداقة...إنه لا يتوهم الحب...فرامي وغادة كان لهما نفس الرأي...وكانا قد لاحظا الشيء نفسه.

هل كان حقا يتوهم الحب...أم أنها كانت مجرد عاهرة تعشق تصارع الرجال عليها...إنها عاهرة...ذات قلب عاهر...لم تخلق من التراب مثلنا...وكأنها خلقت من الشر...لتصنع الشر.

لم يكن هذا فقط لأنها لعبت بمشاعره وكانت إشارات حبها يراها الأعمى...وليس فقط لأنها أوقعت بينه وبين صديق عمره والله وحده يعلم ماذا قالت له وبماذا وسوست في أذنه حتي وصل إلى تلك الحالة من الهياج...ليس هذا فقط ولكن صدمته وفتحت عينيه علي أشياء كان لا يراها...أو ربما كان لا يريد أن يراها.

فهم أخيراً سر تجاذب الرجال وتنافسهم عليها...كانت عكس ما يراها تماماً...كانت منفتحة...منفتحة إلى ذلك الحد الذي يثير شهوة أي رجل...لكنه لم يفكر بها يوما بتلك الطريقة.

كانت مغرورة...متعاليه...متكبرة...ومصطنعة.

كانت تصطنع الأخلاق والعفة والطهارة والإيمان.

كان مجدي أعمي فلم ير كل هذا...ولم يكن كل ما سبق هو السبب الذي جعل مجدي يرى حقيقتها...لكن السبب الحقيقي أقوي من ذلك بكثير.

بعد ما حدث انفصل مجدي عن أحمد وترك له الشقة...واستأجر شقة أخرى...وفي يوم ذهب إلى شقته القديمة ليحصل علي بعض الأغراض التي قد نسيها في الشقة...ففوجئ بأماني نازلة علي السلم.

تقابلت العيون في ذهول شديد...ذهول عقد لسانه عن الكلام.

نزل من علي السلم دون أن يأخذ أغراضه.

عندها فقط تأكد من أنها مجرد عاهرة حقيرة لا تستحي ولا تستحق الحب...ولا الحزن...إنها لا تساوي شيئاً...ولكنه يحبها...حتي بعد كل ما عرفه عنها...كان يحبها.

كان يقول دائماً..."أحبها...وسأظل أحبها مهما كلفني هذا من شقاء وعذاب...إنني لا أستطيع أن أخرجها من قلبي...أو أن أنساها فهذا قدري...فقد أحببت عاهرة"

لم يتجرع مرارة الألم والحسرة مثل تلك الأيام فقد فقد حبيبته...وفقد آخر أصدقائه.

مات من مات...واختفي من اختفي.

وصار وحيداً كلياً...بلا صديق...بلا حبيب...وبلا قلب.

ولم يبق له سوي الذكريات التي لم يكن يعلم هل هي سر شقائه...أم آخر ما تبقي من أيام سعادته...لم يكن خبر مجيء وقت انضمامه للجيش فارقاً مهما في حياته في ذلك الوقت...فكان بداخله ما يكفيه من الوحدة والحزن...إنه لم يفكر يوماً أن يتخاذل عن الواجب الوطني...ولكنه لا يؤمن بفكرة الحرب...ولا هدفها...فهو يعلم جيداً أن هذه الحرب تخدم مصالح السياسيين الكبار...وأن الشعب هو الذي سيتجرع ويلات الحرب في نهاية المطاف.

الفصل الثالث

مركز التدريب

وكأننا في دولة حكم عليها بالشقاء إلى الأبد. في القرن الماضي تغيرت أوضاع البلاد بدرجة كبيرة جداً. فقد تحولت من النظام الملكي[٤] إلى النظام الجمهوري[٥]. ومن الرأسمالية[٦] إلى الاشتراكية[٧] عودة مرة أخرى إلى الرأسمالية. ومن الاشتراكية إلى الديكتاتورية ومنها إلى الشمولية القمعية. الحقيقة أن الأوضاع

---

[٤]النظام الملكي :- هي نظام حكم حيث يكون الملك على رأس الدولة وتتميز بأن الحكم غالباً ما يكون لفترة طويلة وعادة حتى وفاة الملك وينتقل بالوراثة إلى ولي عهده. وتعرف زوجته بلقب الملكة عقيلة الملك.

[٥]النظام الجمهوري:- هي نظام حكم يتم اختيار الحاكم (ويسمى عادة رئيس الجمهورية) من قبل الشعب بشكل مباشر أو من قبل من البرلمان المنتخب من الشعب

[٦]الرأسمالية:- الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية تقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية. تزداد أهمية مفهوم الملكية الفردية في الموارد النادرة حيث يفتح السوق المنافسة الصرفية بين الأفراد لاستغلالها بكفاءة. بما أن الرأسمالية تعزز الملكية الفردية، فإنها تقلص الملكية العامة، ويوصف دور الحكومة فيه على أنه دور رقابي فقط

[٧]الاشتراكية:- نظام اقتصادي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والإدارة التعاونية للاقتصاد؛ أو هي فلسفة سياسية تدافع عن هذا النظام الاقتصادي. الملكية الاجتماعية تعود لأي شخص ما أو مجموعة مما يلي: شركات تعاونية أو ملكية شائعة أو ملكية عامة مباشرة أو دولة المؤسسات المستقلة. الاقتصاديات الاشتراكية تعتمد على الإنتاج من أجل الاستخدام والتخصيص المباشر لمدخلات الاقتصاد لإشباع المتطلبات الاقتصادية والحاجات البشرية (قيمة الاستخدام)؛ المحاسبة تعتمد على كميات طبيعية من الموارد، كمية طبيعية أو قياس مباشر لوقت العمل

لم تكن يوماً جيدة...وهذا الشعب التعيس لم يذق حلاوة الأيام منذ عقود.

تعددت الثورات وتغير الحاكم تلو الاخر...والوضع من سيء إلى أسوأ...فلا قيمة لثورات تنقل شعوبها من الظلم إلى الظلام.

في القرن الماضي كانت الدولة عبارة عن مملكة...محكومة بواسطة الملك والنظام الملكي.

كانت الملكية تستعبد الشعب وكان هدفها هو المال.

كان الملك لا يهتم في ذلك الوقت سوي بقصوره وأراضيه ورعاياه المفضلين...وكان الملك مستهترا ويضيع البلد باستهتاره...ولم يهتم يوما بالشعب...ولم يكترث يوما بالمعارضة أو بالدستور...لكن الحقيقة لم يكن الملك بمثل هذا السوء...هذا ما ذكرته عنه كتب التاريخ...التي تم تعديلها من قبل الحكام الذين حكموا بعده ، ولم يمتلك أحد الجرأة ليكتب الحقيقة...وضاعت إلى الأبد.

إن بعض ما ذكرته الكتب عن الملك كان صحيحاً...لكنه لم يكن فاسداً لتلك الدرجة التي تصورها الكتب...فتلك الأيام كانت علي الرغم من قسوتها كانت أفضل بكثير من غيرها.

فعلي الأقل كانت الدولة تمتلك القرار في شؤنها الداخلية.

كان الملك فاسداً.....لكنه لم يكن يوما خائناً.

كانت الدولة في ذلك الوقت تمتلك تعليما حقيقيا...فكانت الدولة تدعو الطلاب من جميع أنحاء العالم للتعلم في مدارسها وجامعاتها التي لم يكن لهما مثيل في العالم.

كانت فرص العمل متاحة للجميع...وكانت نسبة البطالة تقترب من الصفر...كانت الدولة تمتلك مستشفيات حقيقية وعلاج وتأمين صحي حقيقي...كانت الشوارع نظيفة...ومرتبة...كان للدولة نظام وقانون يتبعه الشعب...والسلام كان يعم أرجاء البلاد.

لم يكن عامة الشعب في حالة من الرفاهية...ولن تكون في يوم من الأيام... ولكن علي الأقل لم يكن أحد يموت من الجوع...أو من الاهمال...أو من نقص المواد الغذائية.

لم تكن أيام سعد...ولكنها كانت أياماً أفضل من هذه الأيام...نعرف أننا كنا لا نملك دولة ديمقراطية في ذلك الوقت...لكننا لم نملكها يوما.

ظلت الأوضاع هكذا حتي انتشرت فكرة الحرب بين المعارضة.

لأسباب غير مقنعة بالمرة طالبت المعارضة بإعلان الحرب علي دولة الجنوب

لم يكترث الملك يوما للمعارضة ولا ولوجودهم كان قد اعتاد علي ذلك فكان لا يعيرهم اي انتباه ...ولكن هذه المرة مختلفة...فقد حدث شيء لم يكن في الحسبان...وقد قلب كل الموازين.

علي الرغم أن معظم الشعب هتف للملك ولسياسته...وأيد قرار عدم الحرب.

إلا أن تيار المعارضة قد امتدت نفوذه وسطوته حتي سيطر علي أركان الجيش وقياداته...حتي صار قادة الجيش هم زعماء المعارضة...وبالتالي تبنى الجيش فكرة المعارضة قلباً وقالباً.

قرر الجيش عزل الملك من منصبه...والسيطرة علي زمام الأمور ، وبالفعل تم عزل الملك من منصبه...وتولي الجيش شؤون البلاد وتم إلغاء الملكية....وتم إعلان الجمهورية.

وعين قائد الجيش حاكما للجمهورية الجديدة...بحجة أن "الشعب لا يصلح لممارسة الديمقراطية بعد"

وهتف الشعب للرئيس كما هتف من قبل للملك...هتف الشعب للمخلص الذي جاءهم رحمة من السماء ليخلصهم من الملك وطغيانه ،وليبتدئ عصر الحريات...ولتعيش الدولة في رخاء وسلام.

وأعلنت الدولة رسمياً أنها دولة اشتراكية...وقام الحاكم بتدعيم حكمه واحاكم سلطته بتوزيع بعض الاراضي والأموال علي الشعب وهتف الشعب باسمه وصرخ...حتي بح صوته.

لكن الحاكم الجديد كان مولعاً بالثورة البلشفية[٨]. كان مولعاً بأفكار فلاديمير لينين[٩] وكارل ماركس[١٠]...كما كان من كبار مؤيدي الحزب الشيوعي...وكان يحلم بتكوين اتحاد سوفيتي جديد...ويكون هو رئيسه في بلاده.

وبالفعل بدأ الحاكم الجديد بتطبيق قواعد حكمه الاشتراكي الذي فشل فشلا ذريعاً بعد ذلك.

لا أحد كان يعلم كيف كان يفكر في تطبيق النظام الشيوعي[١١] في دولة تقوم في المقام الأول علي الديانات...صحيح أنه لم يصرح أحد بتطبيق الشيوعية ولكنه أعلن أن الاشتراكية نظام للدولة

---

[٨]الثورة البلشفية:- كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية عام ١٩١٧ قادها البلاشفة تحت إمرة فلاديمير لينين ويده اليمنى جوزيف ستالين وكامل الحزب البلشفي والجماهير العمالية بناءً على أفكار كارل ماركس وتطوير فلاديمير لينين؛ لإقامة دولة اشتراكية وإسقاط الحكومة المؤقتة. وتعد الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية في القرن العشرين الميلادي.

[٩]فلاديمير لينين:- ثوري روسي ماركسي وقائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية، كما أسس المذهب اللينيني السياسي رافعاً شعاره الأرض والخبز والسلام.

[١٠]كارل ماركس:- فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري لعبت أفكاره دورًا هاما في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ ....نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها بيان الحزب الشيوعي (١٨٤٨)، و رأس المال (١٨٦٧–١٨٩٤)

[١١] النظام الشيوعي:-مجموعة أفكار في التنظيم السياسي والمجتمعي مبنية على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في الاقتصاد؛ تؤدي بحسب منظريها لإنهاء الطبقية الاجتماعية ولتغيّر مجتمعي يؤدي لانتفاء الحاجة للمال ومنظومة الدولة. وفي العلوم السياسية والاجتماعية هي أيدولوجية اجتماعية اقتصادية سياسية وحركة هدفها الأساسي تأسيس مجتمع شيوعي بنظام اجتماعي اقتصادي مبني على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في ظل غياب الطبقات المجتمعية والمال ومنظومة الدولة.

والاشتراكية ما هي إلا مرحلة انتقالية في الطريق إلى الشيوعية وتأتي الشيوعية بعد مرحلة الاشتراكية التي تقوم على إنقاض مرحلة اللا قومية...حيث تعتمد الشيوعية في المقام الأول علي إلغاء القومية[١٢].

والعناصر الأساسية في تكوين القومية هي وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الأمة ووحدة الشرائع والمدارس والدين .

في الحقيقة إن الشيوعية أو حتي الاشتراكية الديمقراطية كانت تحارب القومية تقوم في الخفاء وتعمل علي إسقاط ركاز الدولة لتقوم علي إنقاد اللا دولة.

فهي تحارب الطبقات الرأسمالية لجشعهم وسيطرتهم علي المال... وتحارب التعليم لأنه معد خصيصا لإنشاء العبيد ليخدموا الرأسماليين وتحارب الدين لأنه أفيون الشعوب ووسيلة استبداد الشعوب ، وتحارب الشرائع لأنها وسيلة تستخدم في إرهاب البروليتاريا[١٣].

---

[١٢] القومية:- هي إيديولوجية وحركة (اجتماعية- سياسية نشأت مع مفهوم الأمة في عصر الثورات (الثورة الصناعية، الثورة البرجوازية، والثورة الليبرالية في فترة أواخر القرن الثامن عشر و العناصر الأساسية في تكوين القومية هي وحدة اللغة و وحدة التاريخ ، و ما ينتج عن ذلك من مشاركة في المشاعر و المنازع، وفي الآلام والآمال.

[١٣] البروليتاريا:-هو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز يشير فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري، ويرى ماركس أن الصراع التنافسي في ظل الرأسمالية، سيتولد عنه سقوط للعديد من الشركات واندماج شركات أخرى، حيث أنها في النهاية تتحول إلى شركات كوسموبوليتية أي لا

في صدد كل هذا انهارت الدولة ومؤسساتها لعدم تأقلمها مع الفكر الشاذ الذي كان دخيلا عليها .وأدي ضعف الدولة في ذلك الوقت إلى خسارة الحرب التي قادها الحاكم في ذلك الوقت مما سبب خسارة فادحة بسبب سياسته الفاسدة واعتماده علي أشخاص غير جديرين بالثقة.

كانت بالطبع هذه الأيام أيام شقاء وتعاسة ...كما ستكون دائما.

فقد خسرت الدولة أموالاً طائلة بسبب الحرب.

بالإضافة إلى المدن التي دمرها القذف...ومؤسسات الدولة التي أصابها التدهور والضعف بسبب السياسات الفاسدة.

فتدهور حال التعليم...وأصبحت المستشفيات تعج بالمرضي والمصابين من الجنود والمدنيين...وأدي الاهمال إلى تدهور حالتها وضعف قدرتها علي أداء خدمتها العلاجية للشعب.

انتشرت البطالة بسبب التهجير الاجباري والتجنيد الاجباري بسبب الحرب...بالإضافة إلى المصانع التي دمرت وأحرقت من جراء الحرب.

انتشر الفكر الإلحادي في البلاد...كانت تلك البلاد تحتوي علي الكثير من الديانات...وكانت تعيش معا في سلام وأمان...وكأنها

قومية وتصبح شركات احتكارية و يصبح نضال شعوب الأرض موحداً لعدو واحد وتسمى هذه الطبقة الناشئة عن الاحتكارات العالمية بطبقة البروليتاريا، وهي تبيع عملها الفكري والثقافي والعضلي ولا تملك أي وسائل إنتاج، ويعتبر ماركس البروليتاريا هي الطبقة التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أممي

ضربت بكل الآفات...إلا الفتنة الطائفية...ولكن الفكر الإلحادي ظهر في ذلك الوقت بصورة كبيرة... بعد أن كان مجرد حالات شاذة في المجتمع...ولكن كعادة هذا الشعب فهو لا يناقش في الدين...لذلك لم تظهر أية مشكلة من ظهور التيار الإلحادي في تلك البلاد.

كل هذا أدي إلي ضعف الدولة...وبدلاً من أن تتقدم خطوة إلى الأمام...تراجعت عشرة خطوات إلى الخلف.

وعدوا الشعب أن الحرب سوف تجلب الرخاء...ولكنها لم تجلب سوي العذاب والشقاء.

فكانت وعود الحكومة أنه بعد الحرب ستزيد حصة الفرد في المياه والطعام وستزيد الرواتب وتعلو الأجور وترتفع قيمة العملة المحلية في سوق العملة العالمي.

ولكن كل ما جناه هذا الشعب التعيس هو ويلات الحرب...الخراب والدمار الذي اجتاح البلاد...وتدهور المدارس والمستشفيات...قلة الغذاء والمواد الطبية بسبب تحويلها إلى الجيش علي الحدود...وعدد لا يحصي من القتلى والمصابين من الجنود أو المدنيين.

لم تكن أسباب الحرب الحقيقية ظاهرة للجميع.

فالحرب لم تكن ضد مستعمر...أو كانت حرباً من أجل الدفاع عن دين أو معتقد...أو حتي من أجل البقاء.

في أيام الملك ظهرت إشاعات أن الدولة المجاورة لنا تجهز للهجوم علينا وتدميرنا...وأنهم يخططون الخطة ويتدربون لهذا...ولذلك علينا أن نسبقهم في ذلك.

أحقا أنهم سوف يفعلون؟؟

لا أحد يعلم ولكن الشائعات انتشرت انتشار النار في الهشيم في البلاد ولم يكن هناك أحد يفهم حقيقة ما يحدث.

سنحارب من أجل ماذا؟؟...الوقاية؟؟...لابد من أن هناك أسباباً أخرى...لا أحد يعلم السبب الحقيقي...ولكن مجدي سيعرف لاحقا السبب الحقيقي.

بعد انتهاء الحرب الأولى بهزيمة ساحقة...تم تغيير سياسة البلاد كلياً ، فقد تم عزل الحاكم من منصبه وتم الغاء النظام الاشتراكي وإعادة النظام الرأسمالي...الذي كان البذرة التي أنبتت بعد ذلك وبالتدريج...النظام الديكتاتوري.

استمرت الحرب الأولى لمدة أربعين عاماً انتصرت الدولة في مرات وانهزمت في مرات أخرى...ولكن حدود الدول لم تتغير، ولم تفكر أية دولة خلال أربعين عاماً من أن تقوم باحتلال الدولة الأخرى وينتهي الأمر...استمرت هكذا كأنها مباراة كرة قدم.

استمرت هكذا حتي أعلنت الحكومة أنها قد هزمت بسبب قرارات الحاكم الخاطئة وحكومته الفاسدة....وفي الحقيقة أن الدولة لم تهزم تلك الهزيمة المدمرة التي تستوجب الثورة علي الحاكم...فهذا هو الحال منذ اربعين عاماً....ولكن يبدو أن الجيش

أراد التخلص من الحاكم بهذه الطريقة....فأعلن بيان الهزيمة ومعه بيان عزل الحاكم.

وأعلنت الهدنة...تم إعلان الهدنة بعد أن تم استنزاف كل مواد الدولة ولم يبق بها شيء لم يدمر...أعلنت الهدنة... بعد أن قضت الحروب علي البلدين.

كان مجدي يعيش تلك الحقبة من الزمان (الحرب الأولي)... لكنه كان طفلا لم يتجاوز الرابعة عندما تم إعلان الهدنة... لكنه كان يتذكر جيدا علي الرغم من صغر سنه صوت الغارات والقصف...ويتذكر جيداً يوم وقعت قذيفة علي البيت المجاور لهم... وما أصابه و أمه من هلع في ذلك اليوم.

كبر مجدي وترعرع في كنف الهدنة... وفي ظل النظام الرأسمالي الديمقراطي اسماً...الديكتاتوري فعلاً.

لم يعش مجدي أيام الحروب لكنه قرأ عنها الكثير في كتب التاريخ... لم يكتب أحد الحقيقية... ولم يكتب أحد سبباً مقنعاً... للحرب.

وكأنهم نسوا السبب الرئيس للحرب...كتب جميع المؤرخين أن قرار الحرب كان شراً لابد منه... ولكن لم يكتب أحد لماذا لابد منه؟

لم يستطع أن يبني رأياً محدداً في طفولته وصباه... ولكنه عندما التحق بكلية الحقوق ودرس الدستور والقوانين والتشريع... كون

رأياً قاطعاً... بأن الحرب لن تكون يوماً ذات أهمية علي الاطلاق وأعلن رفضه لها رفضاً قاطعاً.

عاشت الدولة الكثير من الصراعات والمناقشات حتي ذلك اليوم الذي عادت فكرة الحرب تراود الدولة... وأنقلب كل شيء بين ليلة وضحاها.

فالدولة الجديدة تمنع الفكر...تمنع الصراعات...وتتصدي للمعارضة بالمرصاد...تقتل المتظاهرين وتعتقل المفكرين... تسيطر علي الإعلام وتقيده... تلفق الحقائق... وتزيف التاريخ.

كان قرار كسر الهدنة وإعلان الحرب الثانية هو قرار فردي من الحكومة ولم يكن له معارضين... أو كما في رواية أخرى... لم يبق له معارضين.

أعلنت الأحكام العرفية[١٤] علي البلاد...وتم تجميع الشباب من هم فوق الثامنة عشر للتجنيد الإجباري. كانت العربة التي اخذت مجدي إلى مركز التدريب حيث سيتلقى تدريبه علي فنون الحرب واستخدام السلاح في عربة تشبه عربة ترحيلات السجون التي يتم نقل المساجين بها... في الحقيقة أنها كانت كذلك... فقد استخدم الجيش عربات الترحيلات المخصصة لنقل المساجين لنقل المجندين لعدم توافر عربات كافية لنقل كل المجندين.

[١٤] الأحكام العرفية :- هو نظام استثنائي تلجأ إليه الدول في حالة الأزمات الطارئة واختلال الأمن وتقرر فيه حالة الطوارئ ومنع التجول حتى يزول الخطر عن البلاد وتمنح فيه السلطة التنفيذية سلطات واسعة حتى يعود الأمن والاستقرار للبلد وغالباً ما يقرر حاكم الدولة هذه الأحكام العرفية. وهناك الكثير من أدوار الحكم العرفي مع كافة مؤسسات الدولة.

كانت أيام التدريب أكثر الأيام تعباً وشقاءً... كان المجندون يعانون من قلة الراحة والنوم... وقلة الغذاء... ومن سوء المعاملة.

ولكن سرعان ما ولت هذه الأيام... وجاءت أيام الحرب.

كان مجدي وحيدا خسر كل أصدقائه... وصدم في حبيبته... وها هو الآن يحارب أشخاصاً لم يعرفهم من قبل.. ولا يكن في داخله أي عداء تجاههم... ويحارب لأسباب لا يؤمن بها ولا يصدقها... ولكنه لا يملك الخيار... ماذا يستطيع أن يفعل... كره الحياة وطلب الموت.. .لكن القدر كان بخيلاً عليه...فلم يعطه أي شيء تمناه في حياته.... ولا حتي الموت.

كان مركز التدريب عالما آخر غير الذي عرفه مجدي.

كان مكاناً تجمع فيه الشخصيات من مختلف الطوائف والفروع والأعراف والثقافات.

كان يجلس في فترة الراحة وحيداً.. شارد الذهن يفكر في ما حدث له في الآونة الأخيرة... كان يفكر في أماني... وأدرك أن سبب شقائه يأتي من عدم إدراكه للسبب الحقيقي لحبه لها حتي الآن بعد كل ما عرفه.

كان يفكر في كل ما حدث له... تذكر من مات... وتذكر من خان.

تذكر رامي... أين هو الآن...هل قابل غادة في العالم الآخر... أم هو حي في مكان لا يعلمه سوي الله.

كان يفكر في كل هذا حتي سمع صوتاً يخترق عزلته وينادي عليه... ما بك أيها الفتي... هل تخاف الحرب؟

نظر مجدي إلى مصدر الصوت فكان رجلاً طويلاً... حليق الرأس... جسده ممتلأً بغير بدانة... كان صوته أجش... يصعب تحديد عمره الحقيقي... ولكن يسهل تحديد رتبته من خلال النجوم الموضوعة علي كتفه... عرف مجدي فيما بعد أنه أحد القيادات المهمة في الجيش... كان قائداً لسلاح المدفعية.

وقال له القائد : " لا تبدو لي ذلك الجبان الذي يخشي الموت... عيناك تقولان أنك أكبر من هذا"

فقال له مجدي : " لا أخاف الموت سيدي... بل أتمناه من أعماقي"

فقال له القائد : " تبدو لي شاباً واعياً ومثقفاً في منتصف العشرينيات...أمامك حياة طويلة لتعيشها إن قدر لك أن تعيش بعد أن تنتهي هذه الحرب."

صمت مجدي ولم يرد... واكتفي بتحريك رأسه.

فقال له القائد : "إياك والانتقام... فلن يجدي عليك سوي الخسائر والشقاء... ولن يعيد ما قد انتهي... لا تفكر فيه حتي...لا تسمح لعقلك بذلك... ولا تحزن علي الماضي... فلن يغير حزنك شيء... ولا تبك علي من رحلوا... فلن يعودوا ولو بكيت دماً."

تمت أيام التدريب وتعلم مجدي حمل السلاح وفكه وتنظيفه وتعلم اطلاق النار إلى جانب بعض فنون المراوغة والقتال.

وفوجئ مجدي أنه تم تحويله من سلاح المشاة[١٥] إلى سلاح المدفعية[١٦] بتوصية من قائد السلاح نفسه.

لم يكن مركز التدريب مفيداً في تعلم الفنون القتالية فقط...ولكنه تعرف إلى بعض الأصدقاء الجدد...وكانت الأحزان تنجذب إلى بعضها كالمغناطيس... فبعد أن تعرف عليهم... وسمع قصصهم... تأكد أنه مقارنة بما سمعه... ليس الوحيد الذي يمتلك هموما ومشاكل... وتأكد من أنه ليس أتعس إنسان في الوجود.

عرف الأصدقاء وآنس عشرتهم....عاشوا معاً أقصى التدريبات التي لا يتحملها بشر... ذاقوا العذاب معاً.... وعانوا الجوع والعطش والبرد معاً.

[١٥] سلاح المشاة:- مجموعة من الجنود المسلحين بأسلحة خفيفة و المدربين خصيصًا للقتال على البر وباستعمال وسائط أخرى للتنقل في بعض الأحيان مثل الشاحنات والمركبات و ناقلات الجنود المدرعة (مشاة آلية) أو مركبات القتال المدرعة (مشاة ميكانيكية) أو السفن (مشاة البحرية) تاريخياً في الحروب غالباً ما يكون النصيب الأكبر من القتلى والجرحى من المشاة و يحصل جنود المشاة على تدريبات بدنية قاسية ويطلب منهم التزام الانضباط و التوفر على لياقة بدنية عالية، و الدور الرئيس للمشاة هو تدمير العدو تحت أي ظرف

[١٦] سلاح المدفعية:- تعرف تاريخياً بأنها كل آلة تستعمل في الحرب لإطلاق مقذوفات كبيرة الحجم، وتتنوع أنواع واستخدامات المدافع وتشمل أقساماً عديدة منها المدفعية المضادة للطائرات والمدفعية المضادة للدروع ومدفعية الهاونز والهاونات والمدفعية الجبلية والمدفعية الساحلية ومدفعية الميدان والصواريخ التكتيكية، وراجمات الصواريخ

سمعوا أحزان بعضهم البعض..... تشاركوا همومهم دون أي سابق معرفة..... فطبيعة الإنسان وفطرته تفوز دائماً.

الفصل الرابع

الحب المستحيل

لم يكن مجدي صاحب مأساة حقيقية مقارنة بالكثير... خاصة أشرف ذلك الفتي الذي لم يبتسم ولا مرة... منذ أن تعرف عليه.

كان أشرف فتي لم يتجاوز العشرين من عمره في ذلك الوقت. لم يكن قد أتم تعليمه واكتفي بالشهادة الإعدادية يعمل بالصباح شيالاً في مخازن القمح.،مما جعل جسده يكتسب قوة عضلية وبشرة سمراء بفعل الشمس، وفي المساء يعمل كساقٍ في حانة البلدة.

كان أشرف يعيش في بلدة ساحلية صغيرة تبعد ٢٧٠ كيلو متراً عن العاصمة... كانت مدينة هادئة... لم تتأثر كثيراً بالمظاهرات ولا بالأحداث السياسية.

كانت حياته بها الكثير من التعب.. .والقليل من المال والسعادة ولكنه كان راضياً وسعيداً.

وفي يوم من الأيام في أوائل فصل الربيع.

حيث كان الربيع في هذه المدينة ذو طبيعة ساحرة... وكأنها جنة الله علي الأرض.

وكان شجر اللوز يزدهر في كل الأنحاء... بلونه القرمزي الصارخ يتحدى المخلوقات ويتمايل في تباه... هل يوجد من هو أجمل منها علي البر والبحر... من ينافسها في سحرها وجمالها؟

هي استطاعت... كانت تجلس مع صديقتها في الحديقة يتناولون أطراف الحديث... استطاع بسهولة بالغة التعرف علي أنها تلميذة في مدرسة الراهبات الواقعة في وسط المدينة... من خلال ملابسها الخاصة المميزة التي يمكن تمييزها بسهوله.

كانت هذه المدرسة... غير متاحة لجميع الأفراد... كانت تقبل بنات العائلات الملتزمة فقط صاحبة السمعة الطيبة... وبالطبع يجب أن يكونوا أغنياء إلى الحد الذي يتحملون فيه نفقة التعليم في هذه المدرسة... والتي كانت تعادل دخل عشر رجال علي مدار عام كامل. وحتي وان امتلك الصعاليك المال... فهذه المدرسة لن تقبل سوى بنات العائلات الكبيرة فقط.

كانت صغيرة لا تتعدي السادسة عشر من عمرها... لكنها في نفس الوقت أجمل مما ينبغي لفتاة في مثل سنها.

كانت ذات قوام رشيق وشعر أسود ناعم... وعينان تملآن القلب من السحر والشجن ما يكفي لإذابته... كانت ملامحها عذبة ورقيقة إلى ذلك الحد الذي تقشعر له الأبدان.

كانت أجمل فتاة رأتها عيناه في يوم من الأيام... وكان جمالها كافياً لكي لا يري من معها من أصدقائها... كان كافياً ليجعله لا يري شجر اللوز الذي كان يسرق عقله كلما رآه.

كانت الفتاة ابنة لأسرة كبيرة.... وكان والدها رجلاً غنياً جداً... بالإضافة إلى أنه منعزل أيضاً... جاء مع والده عندما كان طفلا صغيراً... بعد أن تدمرت مدينتهم بسبب الحرب الأولي كبر وأسس والده تجارته التي قام هو بتكبيرها وتوسيع أفقها ومجالاتها... وذلك عندما تملك مقاليد الأمور بعد أن مات والده عن عمر قد تجاوز السبعين.... وعندما تزوج اشتري قصراً قديماً يشبه القلاع القديمة وقام بترميمه وتعديله حتي أصبح قلعة حقيقية... فرفع الأسوار وشدد الحراسة... وأطلق كلابه في كل مكان في حديقة القصر... ومنع أي غريب من دخوله حتي الخدم.... مما جعل منزله طابية عسكرية.

ولشدة حرصه علي خصوصيته كان يقود سيارته بنفسه رغم تقدمه في السن... ولم يكن يسمح لأسرته الاختلاط بأي غرباء.

بسبب كل هذا لم يستطع أشرف أن يعرف شيئاً عنها أكثر مما كان متاحاً للجميع أن يعرف... وفي خلال شهر كان قد درس كل تحركاتها... فعرف مواعيد دخولها المدرسة وخروجها... ومواعيدها مع اصدقائها في الحديقة.

كان أيضاً يعرف أين عليه أن يقف تحديداً ليري تلك العيون التي سحرت قلبه.... وأضاعت عقله في عالم الخيال.

كانت نظرة واحدة من عينها كفيلة بأن تملأ قلبه شجناً... وتطرب روحه... وترقصها فرحا.

كان واضحاً للجميع من الذي ينتظره هذا الشاب... حتي هي لم يخف عليها ما في قلب هذا الشاب... فعيناه كانت كفيلة لتفضح ما في سجايا قلبه المسكين.

كل ما عرفته عنه أنه مجرد شخص مهووس يأتي ليراها ثم يغادر دون أن يخبرها من هو، ودون أن ينطق حتي بكلمة واحدة.

في البداية ظنت أنها مخطئة أو موهومة، ولكنها مع الوقت أيقنت من الذي يترقبه هذا الشاب وينظر إليه... إنه ينظر إليها مباشرة.

فلا يستطيع أحد أن لا يري ذلك الشعاع الذي يمتد من عينيه إلى عينيها في ذلك الوقت الذي تلتقي فيه عيناهما وإن كان أعمي.

ولكنها ومع الأسف لم تكن تعلم عنه أكثر من هذا... لم تعلم يوما كيف كان يقضي هذا العاشق ليلته وحيداً... كان فقط بحاجة إلى أن تمر بعقله حتي تدمع عيناه... وكأنه يعشق المحال... ساءت نفسيته واصبح وحيداً... كحال كل العشاق.. .فقد شهيته... وضحكته... وقدرته علي تجاذب أطراف الحديث مع الآخرين.

لم يعد مواظباً علي فروضه الدينية كما كان دائماً.

كان أشرف شخصية متدينة إلى أبعد الحدود... فلم يهجر فروضه يوماً ولم يفكر حتي في كسر الوصية أو ارتكاب المعاصي.

لم تكن ديانة أشرف هي الديانة الرسمية للدولة...ففي الحقيقة فإن تلك الدولة لم تكن تمتلك ديناً رسميا في تلك الحقبة من الزمان.

كانت الدولة في ذلك الوقت متعددة الأديان... بحيث كان هناك الكثير من الأديان في تلك الدولة.... لكن ذلك لم يكن عقبة من العقبات الكثيرة التي واجهت الدولة وأوقفت نموها... فعلي الرغم من الجهل الذي أصاب هذا الشعب وعدم فهمه الصحيح لمفهوم الحريات... عاشوا معا في سلام وأمن علي عكس الدول المجاورة... و هذا التناغم والسلام تساءل الجميع عن أسبابه... إلى أن المفكرين في ذلك الوقت أجمعوا أن هذه المدينة تعيش في هذه الحالة من السلام لسببين :

أولهما أن الدين في مفهومه العام يتم تعريفه عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بالشيء المقدس والإله،كما يرتبط بالأخلاق و الممارسات اليومية... وبصورة أخرى عرفه البعض على أنه الاجابات التي تفسر نشأة الكون ونشأة البشر ومصيرهم وما بعد الموت.

إن كلمة دين تستعمل أحياناً بشكل متبادل مع كلمة إيمان أو نظام أو اعتقاد و لكنه يختلف عن الاعتقاد الشخصي من ناحية أنه يتميز بالعمومية. إن معظم الأديان تنظم السلوكيات والعادات والتقاليد التي يتعامل بها الفرد في المجتمع بما في ذلك التسلسل الهرمي الديني.

ولكل دين عادته الخاصة ولكنها متشابهة إلى حد كبير فكل الأديان تدعو إلى عقد اجتماعات منتظمة أو خدمات لأغراض تبجيل الإله أو للصلاة..... وكل الأديان تمتلك الأماكن المقدسة (الطبيعية أو المعمارية) و الكتب المقدسة.

ولذلك لم يجد أصحاب هذه الأديان أية مشكلة في التعامل مع بعضهم البعض خصوصا مع وجود الكثير من العوامل المشتركة مثل توحيد الإله والثواب والعقاب... والحياة فيما بعد الموت.

والسبب الآخر أن كل مقاطعة في تلك الدولة تحتوي علي دين سائد بها... فكان التداخل محدوداً بسبب العوامل الجغرافية للدولة.

فعاش أهلها في سلام مع بعضهم البعض.

كان أشرف كمعظم أهالي المقاطعة يدينون بديانة الويكا.

وهي ديانة حديثة العهد مقارنة بغيرها... ولكن جميع معتنقيها يعتقدون أنها موجودة منذ قديم الأزل.

سميت بهذا الاسم حسب اللغة النرسية والتي تعني "الشخص الحكيم" ولكن يرجع البعض إلى الاستخدام الإنجليزي القديم "wicca"

والتي تعني الساحر أو مشعوذ أو كلمة "witan" من الإنجليزية القديمة ومعناها حكيم أو حكيمة.

كان كمعظم أهالي بلدته ملتزماً بحضور الطقوس الدينية أسبوعياً.

كان مثالاً للشاب الملتزم حتي أحبه كهنة المعبد واعتبروه ابناً لهم.

ولكنه عندما انقطع فجأة عن حضور الطقوس بدون سبب واضح قلق عليه الكهنة وظنوا أن مكروها قد أصابه... وعند زيارتهم له عرفوا بأنه سليم فشخصوا حالته علي أنه قد أصابه مس شيطانيً.

وأن روحاً شريرة قد سكنت بداخله...وعلي العكس تماما مما يعتقدون... فهم لا يعلمون ما مقدار جمال وطيبة ورقة تلك الروح التي سكنت بداخله.

لقد سكنت به روح الحب... وجلبت معها روح العشق... وعذاب العشاق.

ابتعد أشرف عن كل شيء كان مواظباً علي فعله... ما عدا عمله وعادته اليومية الجديدة بأن يقف أمام مدرستها ليري عينيها.

ويذهب بعد ذلك إلى عمله في الحانة فيضيع بين الأنغام والخمور.

أدمن شرب الخمر واعتاد عليه... فاكتشف وهو في حالة مخمورة... أنه يحمل بداخله شاعراً عظيماً... يفيض منه الشعر.

وكتب في حب "أميرة قلبه" ما يكفي ليكون دواوين من الشعر.

تغير حال أشرف كثيرا... تغير إلى الحد الذي أشفقت عليه صاحبة الحانة وقررت أن تساعده في أن يتخلص من حيرته.

كانت صاحبة الحانة تدعى لواحظ... كانت سيدة تخطت الخمسين من عمرها... ولكن على الرغم من ذلك حافظت علي نضارتها ورشاقتها... كانت بائعة للهوي في أيام صباها... ولكن عندما تم إلغاء البغاء اشترت هذه الحانة بكل مدخراتها... واكتفت بإدارتها وتسيير شؤن الأحباء... وتخفيف هموم المجروحين.

لم تنجب ولم تر لها ولداً... لذلك أحبت أشرف واعتبرته الابن الذي لم تنجبه... وعز عليها أن تري تدهور حالته من سيء إلى أسوأ لذلك قررت مساعدته.

ذهبت فتحدثت معه وسمعت قصته... فضحكت ضحكة رقيعة أسمعت الحانة كلها... وقالت ظننت أن المشكلة أكبر من هذا بكثير... فطلبت منه اسم الفتاة وعنوانها... ووعدته بأن تتصرف.

وفوجئ بأنه لا يعلم حتي اسمها... هل جن إلى تلك الدرجة التي يحب فيها فتاة إلى درجة الجنون وبدون أن يعلم حتي اسمها؟

بماذا سينفعه الاسم؟؟.... هل سيغير شيئاً... إنه لا يهتم سوي بها... ولا يهتم بالاسم أو الاصل أو بأي شيء آخر.

ذهبت لواحظ إلى المدرسة وحدها في يوم وقد طلبت من أشرف عدم الذهاب في ذلك اليوم... كان ذلك في اليوم التالي لذلك اليوم الذي ذهبت فيه لواحظ مع أشرف إلى المدرسة. وأشار عليها للواحظ لتعرف شكلها.

كان موقفاً محرجاً للفتاة الصغيرة أن تناديها بائعة الهوي الأشهر في المدينة أمام صديقاتها... لذلك تحججت بأنها تريد خدمة من والدها... وأنها لا تستطيع مقابلته.

وهمست في أذنها وقالت "أحمل رسالة من العاشق الولهان الذي ينتظرك كل يوم أمام المدرسة... قابليني في الحديقة القديمة بعد نصف ساعه من الآن".

مرت اللحظات كالسنين علي ذلك الشخص الذي ينتظر البشارة.

وكان الوقت لا يمر...كأنه تجمد...أو تآمر عليه ليقتله من شده القلق ، شعر بأن كل أعضائه قد توقفت عن العمل... ما عدا قلبه... فقلبه كان الشيء الوحيد الذي بقيت فيه الحياة... فكان ينبض بقوة... حتي كاد يخترق صدره.

بعد ساعات... وبعد أن كاد يموت من القلق... وصلت لواحظ وعلي وجهها العبوس ففهم ما حدث ولكنها ابتسمت ونطقت كلمات قليلة كانت كافية لتجعله أسعد إنسان في العالم

قالت له "غداً... بعد المدرسة...الحديقة القديمة".

إن كانت اللحظات السابقة مرت عليه كالساعات... فإن اللحظات القادمة مرت عليه كالسنين.

لم ينم أشرف لحظة واحدة في تلك الليلة ،كان يفكر كيف سيقابلها ، ماذا سيرتدي... ماذا عليه أن يقول... وكيف يصارحها بحبه.

تذكر أنه لا يعرف اسمها حتي الآن.

ذهب إلى لواحظ في تلك الليلة فجراً وقرع الباب... وظل يقرع إلى أن فتحت له... كان يرتعش من القلق والتوتر... فأدخلته

وعندما هدأ قليلاً... سألها علي اسم الفتاة فقالت له

"أيقظتني من نومي في ذلك الوقت لتسألني عن اسم الفتاة؟... اسمها سارة... هل تستطيع أن تذهب للنوم الآن وتتركني لأنام الساعات القليلة التي تبقت من الليل؟".

ذهب ليتركها تنام... ولكنه كان يعلم أنه لن يستطيع النوم في ذلك اليوم... ظل يتخبط في الشوارع والطرقات حتي وجده نفسه أمام بيتها... بدون قصد أو ترتيب... وجد نفسه يقف أمام ذلك البيت الذي يشبه القلعة.

استند إلى أحد الجدران وظل يحلم بها.. ويفكر في اللقاء الموعود.

حتي أخرجت أول أضواء الشمس من سباته فقرر العودة إلى منزله استعداداً للقاء.

كانت الحديقة القديمة مكاناً يعج بالرومنسية علي الرغم من أنه مهجور نسبياً.. قد نسي من قبل العديد من الناس بعد أن دمر جزء كبير منه بعد الحرب... ولكن الجزء المتبقي حافظ علي جماله علي الرغم من عدم الاعتناء به، ولكن يبدو أن مشاعر المحبين ودموع المجروحين كانت كفيلة بأن تعتني بها وتمنحها الحياة.

وجاء الموعد المنتظر.

لم يكن يشعر بشيء...وكأنه عزل عن العالم الخارجي.

ظل هائماً لا يعي ما حوله حتي خطفته عيناها وهي تدخل من باب الحديقة... ذلك الباب الذي لم ينزل عينيه عنه لحظة واحدة ولا طرفة عين.

قام من مجلسه والتقط يدها الرقيقة ليسلم عليها... أراد أن يتكلم كما تدرب كثيراً طوال الليل... ولكن لعنة الحب قد أصابته بالخرس ،كل ما أراد قوله كلمات بسيطة ما أخفها في الوزن... وما أثقلها في النطق.

كان يتلجلج ويقول كلاماً غير مفهوم حتي كسر ذلك الصمت صوت رقيق وتمتمت بصوت رقيق يكاد يكون مسموعاً... وقالت بعذوبة لا تنافسها عذوبة الكون وما عليه.

قالت "أحبك... دون أن أعرفك... ودون أن أسمع صوتك... ودون أن أعلم عنك شيئاً... يكفيني تلك النظرة في عينيك.

لا أهتم من تكون أو ما تمتلك... كنت أري كل يوم عينيك والشوق يخرج منهما وينفجر منهما ينابيع الحب... أنا فقط أهتم لتلك المشاعر... والمشاعر لا يمكن وصفها بكلمات لتعبر عنها.

إن المشاعر الحقيقية تخرج من القلب لتدخل إلى القلب مباشرة.

وبدون كلام معسول وبدون قصائد مزخرفة... أنا لا أريد أكثر من ذلك الحب الذي تفيض به عيناك... هذا يكفيني جداً.

وإن مت الآن سأموت وأنا سعيدة لأنني قابلت شخصاً يمتلك قلباً مثل قلبك".

لا توجد كلمات علي وجه الارض تصف ما كان يشعر به ذلك الوقت... لكنه ضمها إلى صدره... ولأول مرة منذ بداية اللقاء... انحلت عقدة لسانه وقال لها وهو يغالب دموعه

"سأظل أحبك ما حييت... وسأموت من أجلك ومن أجل أن اري ابتسامتك الجميلة".

جرت الرياح كما تشتهي السفن... وكانت أيام الحب الأولي أحلي أيام العمر.

عاد أشرف إلى سابق حياته الطبيعية... حتي أنه وجد عملاً إضافياً كحارس ليلي لبيوت أحد اغنياء المدينة.

كان ينام في اليوم ما لا يزيد عن ثلاث ساعات ليجمع المال.

كان يغدقها بالهدايا والحلوى في كل مرة يراها فيه ، ووحده الله كان يعلم كيف يقتطع ثمن هذه الاشياء من قوت يومه.. كان يوفر ثمن وجبة من وجبات يومه ليهديها بثمنها باقة زهور أو بعض الحلوى.

كان حباً حقيقياً وصادقاً. ولم يكن يتمني شيئاً من الحياة أكثر من ذلك.

ولكن علي الرغم من أن كل ما حدث بعد ذلك كان يفوق قدرته وقدرتها علي الفهم والاستيعاب.

ولكنه أدرك بشكل أو بآخر أن الأيام الجميلة قد ولت.

في هذا الوقت أعلنت الحكومة مشروعاً لتغيير سياسة الدولة المالية وهو تحويل قيمة الانتفاع إلى قيمة تبادل.

فعلى الرغم مما حدث بعد الحرب الأولي من أحداث وعزل الرئيس الشيوعي وإقالة حكومته... واسقاط النظام الاشتراكي وإعلان النظام الرأسمالي.

إلا أن بعض الحكومات الكليبتوقراطية كانت تعمل بالنظام الاشتراكي أو في رواية أخرى تعمل بما يحلو لها لتسرق أكبر كمية ممكنة من أموال الشعب التعيس.

لكن عملية تحويل قيمة الانتفاع إلى قيمة بدل و تبادل[١٧] لم يفهم الجميع مغزاها...ولكنها أصبحت بين ليلة وضحاها علي رأس شعارات الحكومة الجديدة... هتف الشعب للحكومة... ومجد السياسة الاقتصادية الجديدة... وهم لا يدركون مقدار الخراب الذي سيحل بهم.

خرج المحللون الاقتصاديون في ذلك الوقت يهتفون بقوة هذا النظام وكيف سيجعل البلاد في أقصى حالات الرخاء الاقتصادي.

وخرج رئيس الوزراء شخصياً وصرح في بيانه قائلاً

"كي نستطيع التخلص من الحالة التي يكون فيها كل فرد من أفراد المجتمع بمفرده علينا أن ندعو رفقاءنا ومساعدينا للقيام بأعمال متنوعه لنصل إلى قمة نظام التبادل ونحقق أقصى استفادة ممكنة".

[١٧] قيمة تبادل :- أنت مجبر أن تعمل لإنتاج ما أحتاجه. وبما أنني لا أقدر على إنتاج أشياء كثيرة، فإنني أعرض على أناس غيري – أناس هم مساعدون لي في عوامل كثيرة ومتنوعة – أن يسلموني قسما من إنتاجهم وأسلمهم قسما من إنتاجي نتيجة للتبادل

لم يفهم عامة الشعب شيئاً من هذا الكلام ولكنهم صفقوا له بحرارة.

ولم يجرؤ أحد في ذلك الوقت أن يصرح أن النظام الجديد هو جزء من الاشتراكية الفاشلة التي تم الغاؤها... وكأن الناس لم تتعظ من سلبيات النظام الاشتراكي.

وحدث ما كان متوقعاً،طغت ديكتاتورية الجهاز المركزي للتخطيط في احتكاره مسؤولية آلاف القرارات الاقتصادية اليومية.

وبالطبع نتج عن ذلك جهاز يتصف بالبيروقراطية والفساد الاداري.

كما أن تهميش الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية للفرد أثرت سلبياً علي سلوك العامل وإنتاجيته وقدرته علي العمل.

فانتشر البغاء علي الرغم من تجريمه... وأصبحت الحانات أكثر من المصانع... وانتشرت المخدرات وغيرها من السلبيات التي أدت إلى كوارث اقتصادية.

كما أدي احتكار الحكومة للقرار الاقتصادي وإهمال مبادئ ملكيه الفرد والحرية الاقتصادية إلى دمار منظومة الاقتصاد في الدولة

مما ترتب عليه التفاوت في توزيع الثروات واحتكار الشركات الكبرى للسوق مما أحدث تقلبات اقتصادية حادة في المجتمع.

لم يهتم أشرف لكل هذا...ولكن ذيول الكوارث الاقتصادية كان لحق به... فقد عمله الليلي كحارس لأن صاحب العمل قد أفلس ولم يعد يمتلك شيئاً يستحق الحراسة... كما أن أجرته كشيال قد انخفضت إلى النصف... لكثرة العمال وقلة الإنتاج... ولكن عمله في الحانة ظل كما هو.

ولكن هذا لم يكن أكبر مشاكله... ففي ظل ما طال المجتمع من أزمة اقتصادية تعرض والد سارة إلى خسارة فادحة أوشكت به إلى الافلاس.

إلى ذلك الحد الذي حمله علي إخراج ابنته من المدرسة لعدم قدرته علي دفع مصاريفها الباهظة.

وفي يوم من الأيام كانوا كعادتهم في الحديقة القديمة تربع أشرف علي الارض وجلس ووضعت هي رأسها علي فخده وأصبحت في وضعية تنظر من خلالها مباشرة إلى عينيه.

نظر إليها وعيناه تملأها الحب وقال

"عيناك سر الكون في أنشودة.... سيغنيها قلبي ما حييت"

قالت له أخشي مما سيحدث من آثار ما حدث علي والدي... فقد خسر كل أمواله وأخشي أن يضطر إلى بيع البيت والعودة إلى بلاده الأصلية.

ثقلت الفكرة علي قلب أشرف ولم يستطع حتي تخيل الموقف... فقال لها "سوف تحل... لم لا نذهب إلى المعبد ونصلي كي يرفع عنا القدير هذا البلاء".

اعتدلت في جلستها ونظرت إليه بعبوس وقالت

"أحقاً أنك لا تعرف حتي الآن؟ أم أنك تسخر مني؟"

كانت سارة ملحدة...ملحدة مثل أبيها وأمها... كان التيار الإلحادي قد انتشر في البلاد بصورة كبيرة خاصة بعد عزل الملك... ولكن والدها كان ملحداً أباً عن جد وقد زرع فيها العداء تجاه الأديان وتجاه تقبل فكرة وجود الخالق.

صعق أشرف من الكارثة التي حلت به الآن... وتوقف العالم كله من حوله.

فأكملت كلماتها قائلة إن اختلاف الأديان والعقائد لا يساوي شيئاً في عالم الحب... أنا أحبك... وقد أخبرتك أول يوم في حبنا أنني لا أريد سواك... ولا أهتم بمن تكون أو بما تؤمن... أنا فقط أهتم بذلك الحب الموجود داخل قلبك.

لم يسمع أشرف كلمة مما قلته سارة... ولم يستطع حتي أن ينطق وكأنه ابتلع لسانه.

حسب شريعته...لا يستطيع أن يتزوج بغير مؤمنة... وإن فعل فقد يكون خرج عن دينه إلى الأبد.

هو يحب دينه... ويحب الله الذي خلقه ويؤمن به... يصلي له ويصوم ويقدم القرابين والذبائح.

لم يعلم أشرف ما الذي يحدث داخله... في الحقيقة وبغض النظر عن آراء رجال الدين وشرائع الأديان.

فإن الزواج ما هو إلا رباط بين طرفين يجب أن يقوم علي الحب وليس تشابه الأديان... إنه مجرد اتفاق يوقعه الزوجان للعيش سوياً مدي الحياة.

ويعتقد البعض أن هذا الاتفاق لا يحتاج إلى أديان لتتممه... فالزواج قائم علي التفاهم والانسجام... والأهم من هذا كله الحب.

وطالما الطرفان ناضجان بالصورة الكافية التي تسمح لهم باحترام معتقد الآخر وفهم حقوقه و واجباته وعدم التدخل في شئونه الخاصة فإن الزواج لا يجب أن يتأثر بالدين.

مهما كان ما تؤمن به وبغض النظر عن معتقدك.... أنت واثق من أن الله جميل... يحب الإنسان ويحب سعادته وقد خلقه وخلق له مشاعره وقلبه... وخلق بداخله القدرة علي الحب والانجذاب وهو يعرف جيداً أنك لا تملك أي قرار في تحريك تلك المشاعر... فلا أحد يملك خيار من سيحب... فكيف يطلب من الإنسان كبح مشاعره في ذلك النطاق الخاص بالدين؟... ثم إن الله عادل... وعدله مطلق لا حدود له.

فهل تتقبل عدالة الله الغير محدودة أن تخلق حواجز بين البشر الذي خلقهم متساويين وتمنعهم هذه الحواجز من الحب والسعادة؟

يعتقد البعض أن الأديان والناس ترفض هذا النوع من الزواج ليس فقط حرصا علي اتباعهم ولكن السبب الرئيس هو مشكلة ديانة الأطفال الذين سيولدون.

ففي الحقيقة هذه المشكلة بالتحديد نابعة من عدم فهم الإنسان وإدراكه لحقوق الشخص في حرية العقيدة وقدرة الشخص علي اختيار دينه فالجميع يعتبر الدين شيئاً موروثاً.

ففي الحقيقة إن فكرة طفل رضيع يدين بدين معين فكرة لا أجدها منطقية... كأنك تقول لي هذا الطفل شيوعي.. أو أن ذلك الرضيع ليبرالي[١٨]... وأن هذه الفتاة الصغيرة عضو في حزب المعارضة.

الفكرة في أساسها صعبة التصديق... ولكن العادة تظل تتكرر إلى أن تصبح حقيقة... والحقيقة مع الوقت تصبح معتقداً... والمجتمع لا يغير المعتقد مهما حدث.

فالطفل له الحق في اختيار الدين والطريقة التي سيعبد بها الله

الدين شيء غير مكتسب أو موروث الدين يجب أن يكون حقيقياً نابعاً من عقله وقلبه واختياره...الدين يكون حقيقياً عندما نختاره بقلوبنا وعقولنا.

[١٨] ليبرالي:-هي فلسفة سياسية أو رأي سائد تأسست على أفكار الحرية والمساواة. وتشدد الليبرالية الكلاسيكية على الحرية في حين أن المبدأ الثاني وهو المساواة يتجلى بشكل أكثر وضوحاً في الليبرالية الاجتماعية

أعتقد أن الله يريدنا أن نختاره عن اقتناع... وليس أن نحمل اللقب بالوراثة.

ولكن من يملك القرار؟

ولدنا ووجدنا أنفسنا علي استعداد للموت دفاعاً عن أشياء لم نختر منها شيئاً... نحن لم نختر ديننا...عرقنا... أو حتي أوطاننا.

ولكننا جميعاً علي أتم الاستعداد أن نموت من أجل هذه الأشياء.

كان أشرف يؤمن جداً بكل تلك الأفكار والمعتقدات ولكنه مثل أي شخص... لم يكترث بها يوما حيث أنه لم يتخيل أنه سيقع في موقف مشابه من قبل.... ولكنه الآن في وضع حرج.

أن الفكر الالحادي لا يمثل لأشرف سوى مجموعة من الخرافات.

فكيف لهذا الكون الفسيح بكل ما عليه من صور للحياة أن يكون وجد بلا خالق أو صانع؟

كان أشرف دائما يقول وإن اختلف الناس دائماً علي من هو الخالق... لكنهم جميعاً اعترفوا بوجوده وإلهيته.

ولكن الفكر الالحادي ينكر وجود الخالق وينفيه وهذا غير وارد في قاموس أشرف.

حتي فكرة اللادينية أو الوجودية الإلحادية، والتي تعترف بوجود إله ولكن دون الاعتراف بالأديان كانت فكرة غير واردة بالمرة له.

إن كنت تؤمن بوجود الله وقدرته... وأن كان الله خلقنا حقاً... فلم لا يضع دستوراً أو قانوناً للتعامل بيننا وبينه.

أليس الدين هو الدستور الذي يحكم علاقة الإنسان بالله؟؟

كان أشرف يحترم جميع الأديان...ويقدس جميع المعتقدات.

فأنت لا يمكنك أن تعتقد أنك أفضل من الجميع لأنك فقط علي دين معين... سواء كان باختيارك أو ولدت به... بالطبع الجميع لهم الحرية في الطريقة التي يعبدون بها خالقهم... ولكنك مجبر علي احترام حرية الآخرين.

كل هذه الاشياء دارت وتصارعت في داخل أشرف...وانحسرت كل الأفكار في مخيلته... وارتسم أمامه طريقان لا ثالث لهما...(هي أم الله).

كانت القوانين واضحة... من يتزوج غير مؤمنة يكون قد خرج عن الإيمان.

ما أصعب القرار... وما أثقله.

إنه لا يتخيل شكل الحياة من دون سارة.... تلك الفتاة التي نظرة واحدة من عينيها تنسيك خيالك.

ولكنه لا يستطيع أن يضرب بإيمانه ومعتقداته عرض الحائط.

ظل في سباته طويلاً حتي أخرجه منه صوتها العذب مع هزة عنيفة من يدها الرقيقة "ما بك... أين أنت... هل تسمعني؟".

هي لم تكن تعرف شيئاً عن دين أشرف ولا أحكامه... ولم تكن تظن أن هناك مشكلة لدي دين أشرف في حبهم العذري.

اعتذر لها أشرف وقال لها بأنه عليه المغادرة فوراً... وجري قبل أن تلمح الدموع تملأ مقلتيه من الحسرة.

تركها في حيرة من أمرها... لا تفهم ما الذي حدث... ولكن الأيام القادمة لا تبشر بالخير أبداً.

مرت أيام ولم يلتق أشرف وسارة... لم تفهم سارة سبب ما يحدث

ولكن أشرف كان قد عاد إلى وجومه ووحدته. لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل... ماذا عليه أن يقول... كيف سيبرر.. ماذا سيختار؟

لن يبيع دينه مهما كان الثمن.. ولكنه سيموت دون سارة... وهي كذلك كان يعرف جيداً أنها لن تستطيع العيش من دونه لحظة واحدة.

أية كارثة حلت علي رأسه الآن؟

لم يكن يعرف أشرف كيف يتصرف أو إلى أين يتجه

اتجه إلى المعبد وجثا علي ركبتيه ونظر إلى السماء وقال.... يا قدير... يا خالق السماء والأرض... ألم تخلقنا كلنا سواسية... أنا لا أريد شيئاً من هذه الحياة غير سارة... ولكن كيف... وظل هكذا يناجي الرب ويتضرع إليه حتي غلبه البكاء... فوقع علي وجه بعد أن خارت كل قواه... وعجز عن ايجاد حل.

في البداية عاد إلى عمله... إلى حياته الطبيعية... وعادت علاقته مع سارة كما كانت... وكأن شيئاً لم يحدث... وقرر عدم اخبارها بالحقيقة حتي لا تفكر بأن تضحي من أجله فتخسر أهلها وأصحابها وكل حياتها.

لم يكن أحد يحب شخصاً كما أحبها هو... كان علي استعداد أن يبيع العالم كله لتبقي معه... ليت العالم كان هو ثمن بقائها.

ولكن الثمن أثقل عليه من الكل الأرض وما فيها.

كان يهيم في عينيها وينسى من هو وينسى المشاكل والحواجز والمستحيلات عندما ينظر إلى عينيها ، وكانت تثقل عليه الهموم ويتحطم فؤاده في الوقت الذي ينفرد بنفسه.

كلص كان يسرق لحظات من السعادة... لحظات يعلم أن عمرها قصير.... أقصر بكثير مما أراد هو.

ولكنه كان في الوقت نفسه يحتقر نفسه وينظر إلى نفسه كلص وضيع لأنه أيضاً يسرق منها سنين عمرها وزهرة شبابها وكل يوم تزيد تعلقاً به أكثر فأكثر.

يحلمون سويا باليوم الذي يجمعهم فيه بيت واحد....وهو يعلم أن هذا لن يحدث ابداً

ظل هذا الحال سنين حتي كبرت هي وأصبحت علي مشارف العشرين من عمرها.

تحسنت الأوضاع الاقتصادية في البلاد بعد إيقاف العمل بالنظام الاقتصادي الجديد وتحسنت أحوال العمال وتحسنت معها أحوال أشرف المادية.

كانت سارة قد غادرت المدرسة بلا رجعة بعد الأزمة الاقتصادية.

فجلست في البيت وتعلمت من أمها فنون إدارته فأتقنت الطبخ والتنظيف والترتيب وحسن اللياقة حتي أصبحت تضاهي ربات البيوت بل وتتفوق عليهم.

مع تقدم السن بسارة ازداد عدد خطابها... فكانت ترفضهم واحداً تلو الآخر دون سبب واضح معلوم...حتي دخل القلق قلب والديها ولكنها لم تهتم...لم تكن تهتم بالتلميح والضغط الصادر عن والدها ولم تلتفت يوماً سوى إلى حبها الأول والأخير.

كان أشرف علي دراية بكل هذه الأمور فقرر في ذلك الوقت أن يتركها لحياتها ومستقبلها وأن يضحي بكل شيء من أجل سعادتها الذي يعلم جيداً أنها لن تشعر بها من دونه... ولكنه لم يستطع أن يخالف ضميره.

كان ذلك الوقت بالتزامن مع تاريخ إعلان الحرب وإجبار جميع الشباب القادرين علي التجنيد الاجباري.

في الواقع أن التجنيد الاجباري هو من ألهمه الفكرة... قال يجب أن أختفي من حياتها إلى الأبد،وأي فرصة للموت أفضل من هذه.

ليته كان يملك الشجاعة لينهي حياته بنفسه.

كرجل ميت ليس له وريث... باع كل ممتلكاته وجمع كل مدخراته وكل قرش يملكه... واشتري بكل ما جمعه من المال قلادة غاية في الروعة والجمال... قرر أن تكون هذه القلادة ذكراه الأخيرة معها.

وكتب لها خطاباً يشرح فيه كل شيء بالتفصيل...وأنه لا يستطيع أن يكون أنانياً أكثر من ذلك ولن يستطيع أن يترك دينه ولا يستطيع أن يطلب منها أن تؤمن من أجله..... تمنى لها السعادة من كل قلبه.

ثم ختم خطابه قائلا

"أحبك.... سأظل أحبك إلى الأبد.... كما أحببتك دائماً"

وذهب في لقائه الأخير معها ليودع عينيها التي لن يراهما مجدداً ومن دون أن تتكلم... ألبسها القلادة وأخبرها أنها ستفهم كل شيء لاحقا... سلم لها الظرف مغلقاً وطلب منها فتحه في منزلها عندما تكون بمفردها... ظل ينظر إلى عينيها كأنه يحمل معه ما يستطيع من جمالها... كان يعلم جيداً أنها المرة الأخيرة التي سيراها فيها.

أخبرها كم يحبها... وأنه لم ولن يعشق أحداً آخر مهما حدث

ودعها الوداع الاخير... وطبع قبلة علي جبهتها... ورحل دون أن يسمع منها كلمة الوداع.

سلم نفسه للجيش ولم ينتظر حتي ردها... فردها لن يغير في قراره شيئاً.

وانقطع الاتصال بينهما منذ ذلك اليوم ولم يعلم عنها شيئاً من جديد إلى الأبد.

لم تكن الدولة الشمالية التي ينتمي لها مجدي وأشرف أفضل حالاً من الدولة الجنوبية التي هما علي بعد خطى من إعلان الحرب عليها بدون سبب حقيقي واضح.

كانت الدولتان في الماضي دولة واحدة تحت حكم واحد وقيادة واحدة ،ولكن بسبب ضعف الحكام واختلاف السياسات انفصلت الدولتان علي الرغم من صلة القرابة بين الشعبين وما يجمعهم من وحدة اللون واللغة والاديان.

في الواقع فإن الدولة الجنوبية تماماً مثل الدولة الشمالية من حيث الأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وإن لم تكن أسوأ من حيث الأوضاع السياسية.

فكان يتم إجراء انتخابات رئاسية وإن كانت بطريقة أو بأخرى تكون انتخابات شرفية... ففي الحقيقة هذه هي سياسات الحكومات التوليتارية أو في رواية أخرى الشمولية.

إن الدولة الجنوبية تماماً كنظيرتها الشمالية لا تجد بها فرصاً لعمل يليق بك... ولا ماء نظيفاً تشربه... ولا مدرسة ليتعلم أولادك بها... ولا مستشفى لتتلقي بها العلاج...ولا حتي تجد ما هو كافٍ لتأكله.

إنك في تلك الدول لن تجد الحب... فالدولة تسعي بكل قدرتها أن تسلب البشر كل طاقاتهم في العمل الشاق للحصول علي قوت يومهم.

ببساطة لا أحد يستطيع أن يجد الحب في تلك الدول التي أقصى ما تحلم به هو في الحقيقة أبسط حقوقك

ببساطة لا ينمو الحب في تلك البلاد التي لا تري النور

ذهب أشرف إلى مركز التدريب ذاته الذي ذهب إليه مجدي وتلقى فيه نفس أنواع التدريبات ولقي فيه نفس نوع المعاملة القاسية وقلة الراحة والغذاء.

وبعد فترة التدريب المشتركة والأولية لجميع المدربين التحق أشرف بسلاح المدفعية لم يكن الاختيار له بأي حال من الأحوال... فهو لا يهتم بنوع السلاح... فهو لا يراها غير أنها طرق جيدة لينهي حياته البائسة.

الفصل الخامس

الحرب

واندلعت نيران الحرب.

واشتعلت الأجواء برائحة البارود والطلقات وأصوات المدافع والانفجارات.

استمرت الحرب لأيام ثم لأسابيع ولشهور ولا توجد نتيجة حتمية

لا يوجد انتصار ساحق ولا هزيمة ضارية

كانت كل دولة تنشر أخبار انتصارها لشعبها وكأنها هي الوحش الكاسر المنتصر بلا هزيمة.

فأعداد الضحايا والمقاطعات التي تم تدميرها كان يبث في الإعلام بصورة مرعبة... ولكن الشيء الأكثر رعباً من ويلات الحرب هي رد فعل الناس وتفاعلهم مع أخبار الحرب.

منذ متي يفرح الشعب بأخبار القتل والحرق والخراب والدمار

وهل سأل الشعب مسبقاً عن ثمن هذا الانتصار.... إن كنا حقاً قد قتلنا الآلاف.... فكم مات منا لكي نقتل هذا العدد

ثم منذ متي نفرح بموت اخوتنا...أليس هؤلاء جيراننا واخواننا.

وهل يعلم الشعب السبب الحقيقي للحرب؟

وهل يوجد سبب أصلا لتلك الحرب البلهاء؟

ولكن الحقيقة كانت مختلفة تماماً

لم يمت حقا كل تلك الأعداد... ولم تدمر تلك المقاطعات بحق

كل تلك الأخبار الزائفة التي كانت تبث لكلا الشعبين ما هي إلى مخدر يخدر ثورة الشعب ضد سوء الأوضاع الناجم عن الحرب وويلاته

وعلي الرغم من أن الحرب كانت علي حدود الدولتين في المناطق النائية.... إلا أن الانفجارات والقذائف كانت تلقي علي المدن والمجمعات السكانية بلا سبب مفهوم.

البداية بدأ مجدي بتنفيذ الأوامر دون أن يفكر فيها أو في أهميتها.

ولكن عندما يطلبون منهم أن يطلقوا القذائف في الهواء بلا هدف.

وعندما يطلب منهم الانسحاب من منطقة ليدخلها الجيش الآخر دون أن يقاوموا.

وغيرها من الأشياء الغير منطقية والغير مبررة والغير مفهومة والذي جعل معظم الجنود تشعر بالارتياب والقلق ولكن القوانين العسكرية تمنع السؤال... فكل ما عليك هو تنفيذ الأوامر و الطاعة العمياء.

لم تكن الطاعة العمياء يوماً من خصال مجدي.... ولم تكن يوماً من خصال أي مثقف متعلم يعرف حقوقه.

ولكن لم يكن باليد حيلة..... كان عليه أن ينفذ الأوامر مهما كانت غريبة وغير منطقية.

وفي يوم جلس مجدي وأشرف وبقية الكتيبة في المعسكر يتناولون أطراف الحديث... ويبكي كل منهم علي ليلاه.

وفجأة جاءتهم قذيفة من السماء دمرت المعسكر رأساً على عقب.

تفرق الجنود في كل اتجاه حاملين أسلحتهم.... ولكنها كانت مجرد غارة... فقد تم تدمير المعسكر.

كانت نتيجة هذه الغارة أن خسر المعسكر مبنى المؤن والذخائر... وكسب العديد من المصابين والقتلى.

وبعد أن هدأت الأمور رأى مجدي أشرف يفترش الأرض مغطى بدمائه.... جرى عليه محاولاً مساعدته فقال له... أنا الآن أسعد المخلوقات،هذا ما حلمت به دوماً...إنها النهاية التي كنت أتمناها.

أنا أعرفك منذ فترة وجيزة... ولكننا حاربنا سوياً.... انتصرنا سوياً وانهزمنا سوياً.... إنها النهاية يا صديقي.... وأنا سعيد بها.

وأخرج أشرف من جيبه ورقة وقد لوثتها دماؤه وقال له.... عندما تنتهي الحرب وتسترد حريتك...اذهب إلى العنوان الموجود في هذه الورقة واسأل عن صاحبة هذا الاسم... ستعرفها بمجرد أن تراها... فهي أجمل ما ستراه عينك.... لا يوجد أحد بجمالها.... ستعرفها.

أخبرها كم أنا أحبها... أخبرها أنني مت... ولكن حبها لن يموت... أخبرها أني احبها.... طلبي الأخير أن تبقى حياً.... ابق حياً من أجلي.... من أجل أن توصل هذه الورقة.

كانت هذه كلمات أشرف الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي مجدي.... وحزن مجدي حزناً كبيراً علي فراق أشرف.

وكأنها اللعنة التي تصيب أي شخص يقترب منه ويحبه... وكأنه منبوذ في هذه الحياة،كتب عليه أن يبقي وحيداً للأبد بدون صديق.

وظل مجدي يخرج من معركة إلى أخرى... ينتصر تارة... ويهزم تارة... ولكن كلمات أشرف الأخيرة كانت دائماً تتردد علي مسمعه.

وعلى الرغم من كل هذه المعارك كان مجدي يخرج سليماً من كل معركة بلا خدش... وكأن روح أشرف كانت معه لتحميه.... وتساعده علي إتمام مهمته.

وانتهت الحرب

بعد ثلاث سنوات من الحرب الوهمية انتهت الحرب بإعلان الهدنة بين الدولتين لأجل غير مسمى.

ثلاث سنوات من نهب مصادر الدولة وأموالها ومواردها وخيراتها وطاقاتها وطاقات شبابها

ثلاث سنوات من تنفيذ أوامر غير مبررة وغير منطقية بما فيها قصف مدن تابعة للدولة

ثلاث سنوات من المعاناة من قلة الغذاء والدواء والمعاملة الغير آدمية، كل ذلك أدى إلى انطلاق الهمسات بين الجنود أن كل هذه الحروب التي خاضوها ما هي إلا مسرحية وما هم إلا عرائس ماريونيت تؤدي فقط الدور المكتوب لها بإحكام.

عندما علم مجدي هذا لم يسطع مقاومة غضبه.... فكل من ماتوا دفاعاً عن الوطن.... قد ماتوا فقط من أجل لعبة السياسة؟

كل هذا بالطبع جعله على رأس هذه المجموعة وكان يجتمع هو وزملاؤه و يتبادلون أطراف الحديث حتي ذلك اليوم ذكر فيه مجدي أنه يفكر جدياً في الانقلاب علي الحكم.

ولم لا.... إذا اجتمع هو وزملاؤه فلن يتصدى لهم أحد... فكفة الجيش تربح دائماً .

جمع مجدي أصدقاءه بدأ يخطب فيهم ويحدثهم

ذكرهم بكل الويلات التي رأوها... ذكرهم بكل أصدقائهم الذين رحلوا بسبب الحرب

ذكرهم بحياتهم السابقة.... كيف عاشوا... وكيف عانوا... وكيف سيعانى أولادهم وأحفادهم ... وختم حديثه قائلا إما أن نعيش أحراراً أو نموت أبطالاً.

وليذهب الخوف والاستعباد إلى الجحيم... فنحن بشر ولسنا ماريونيت.

تفاعل الجنود جداً مع هذه العبارات ورفعوا مجدي علي أعناقهم وهتفوا لحياته وللحرية.

وانتشرت أفكار مجدي كالبرق ... وفاحت سيرته في الجيش كله

و في اليوم التالي استيقظ المعسكر بأكمله ومارس نشاطه المعتاد ولم يكن هناك شيء غريب سوى اختفاء مجدي.

اختفى مجدي وقد اختفى كل أثر له.... فاختفت معه كل متعلقاته الشخصية.... كتبه... وحتى سريره قد اختفى من الغرفة.

كما أنه قد شطب اسمه من السجلات.... واختفى نهائياً من قاعدة البيانات.

كل هذا لم يكن له سوى معني واحد فقط.... الكل كان يعرفه... ولا أحد يستطيع أن ينطقه.

وما هي إلا أيام حتي انشغل الجنود بخوفهم وحياتهم... وأصبح مجدي في طي النسيان.

في ذلك اليوم استيقظ مجدي من نومه لتقع عينه علي مكان غريب يراه لأول مرة في حياته.

فتح عينيه ليرى أمامه الجدران الخرسانية... والأغلال الحديدية

وقع نظره علي الأرض علي النافذة علي القضبان علي أسوار السجن العالية .

نظر إلى نفسه وقال هل أنا حقا في.....السجن؟؟؟

لم يكن مجرد سجناً عاديا... ولكنه كان أشبه بمعتقل... أو أفضل تعبير له أنه مكان يضم كل هؤلاء الذين لا تريد أن يكونوا في المجتمع حتي ولو كانوا بلا جريمة

كان السجن الذي أخذ إليه مجدي هو سجن ١٦ ب أو كما هو شائع بين الناس بالمقبرة

كان السجن محاطاً بسور يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار وبوابات مصفحة من الداخل والخارج كما أن مكاتب الضباط تقع بالكامل خلف الحواجز والقضبان الحديدية

يتكون السجن من ٣٢٠ زنزانة مقسمة علي ٤ عنابر أفقية تأخذ شكل الحرف H ، بكل زنزانة مصباح قوته ١٠٠ وات تتحكم بها تقلبات السياسة العقابية في إدارة السجن، بحيث تستطيع الإدارة قطع المياه والإضاءة وغلق الشبابيك حسب ما تراه مناسبا. من ناحية أخرى

خصص الرسم الهندسي مساحة ٢٥ مترًا في ١٥ مترًا علي شكل الحرف L بغرض التريض «أحيانا»، كما تستخدم ٢٠ زنزانة كعنابر تأديب خاصة بالمعتقلين المشاغبين بحيث يمنع عنهم فيها الإضاءة وتبادل الحديث

كل عنبر في المقبرة ينفصل بشكل كامل عن باقي السجن بمجرد غلق بوابته الخارجية المصفحة

فلا يتمكن المعتقلون حتي من التواصل عبر الزنازين، كما يفعل المساجين في السجون العادية، نتيجة للكميات الهائلة من الخرسانة المسلحة التي تمنع وصول الصوت.

نسبة الهروب من هذا السجن هي ٠% حيث أنه لم يسجل ولا حالة هروب واحدة.

كل هذه المعلومات عرفها مجدي في اليوم الأول له في المقبرة.

حيث اجتمع مأمور السجن بالمساجين الجدد وألقى عليهم تلك الكلمات ليحبط بداخل أي شخص فكرة الهروب للأبد.

كل هذا تدفق في ذاكرة مجدي وجعله لا يشعر بالوقت حتي بدأ النهار يميل وشعر أن الجوع بدأ يمزق أحشاءه فقرر شراء بعض الطعام ليسد جوعه أخرج من محفظته عدة آلاف ليشتري بهم القليل من الخبز والجبن.

وقبل أن يشتري الطعام نظر إلى المال وسأل نفسه

متي أصبح ثمن القليل من الخبز والجبن عدة آلاف؟

متي أصبحت العملة بلا قيمة؟

ماذا حدث؟....وأجاب علي سؤاله قائلا إنه ببساطة التضخم

ولكن متي أصاب التضخم المجتمع؟

وضع مجدي الجبن داخل الخبز وأسند ظهره إلى الجدار وبدأ يتذكر أول بوادر التضخم.

عند انتهاء الحرب....وإعلان الهدنة كان الجيش قد استنزف كل موارد الدولة.... تم انفاق كل احتياطي الدولة في شراء الأسلحة والمؤن والإمدادات العسكرية.

وكان توقف التصدير نتيجة طبيعية لتوقف الصناعات التي توقفت بسبب ويلات الحروب و تدمير المصانع في الحرب و التجنيد الاجباري للعمال.

كل هذا أدي إلى قلة السلع المتوافرة مما أدي إلى الاعتماد الكلي علي الاستيراد.... كل هذا توازياً مع قلة النقد الأجنبي لعدم توافر سبل الحصول عليه بسبب توقف التصدير.

وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذا أن تقل قيمة العملة المحلية مقارنة بالعملة الأجنبية..... وأيضاً قلة عدد السلع لعدم توافر الإنتاج المحلي وعدم القدرة علي الاستيراد.... وارتفاع جنوني في أسعار السلع المتوافرة.

كانت الدولة تستطيع أن تمر هذه الأيام العصيبة اذا تكاتفت الحكومة مع الشعب وأعادوا بناء دولتهم.

ولكن عوضاً عن ذلك لجأت الدولة إلى حل غبي ومؤقت وهو الاقتراض من الدول

فتراكمت الديون علي الدولة وجعلت قراراتها تصاغ من قبل من يدينونها وكأنها عملية بيع للدولة

وعلي مر الأيام ومع اتباع هذه السياسة الغبية... أصبحت العملة المحلية بلا قيمة ووصل التضخم إلى ذروته ولا عزاء للبروليتاريا

عجب مجدي من نفسه وهتف قائلاً

متي وأين صرت بتلك الفصاحة؟؟... متي عرفت كل هذه الأشياء؟؟

فعاد به عقله إلى أيام السجن الطويلة التي كانت رغم قسوتها ستبقي أفضل أيام حياته.

في يومه الأول وهو يعمل في تكسير الحجارة سمع صوتاً ينادي عليه باسمه قائلاً " لم أكن أتوقع أن أول من أراه من أحبائي هو أنت... ولكنك قدري يا مجدي علي ما أظن"

سمع مجدي الصوت فهو يعرفه جيداً لكنه رفض أن يصدق.

كان خائفاً أن يدير رأسه ليرى صاحب الصوت وكأن جسمه قد أصابه الشلل.

عندما أدار رأسه كانت كل شكوكه صحيحة.... ولم يكن العالم كله يسعه من شدة الفرح

(إنه رامي.... صديق العمر.... ورفيق الكفاح..... والوحيد الباقي له في هذه الحياة التعيسة)

تعانق الصديقان عناقاً طويلاً لم يفصله سوي صوت السجان الذي توعدهم بالعقاب إن لم يعاودوا العمل.

كان رامي اعتقل في المظاهرات التي اختفى فيها... وزجوا به في ذلك السجن للأبد كما فعلوا مع العديد من الثوار.

كان كعادته ثوري يعشق الحرية وينادي بها حتي وهو في أشد السجون حراسة.... كان قائد وملهم يعشقه المساجين ويحترمونه... فالجميع هنا مساجيين سياسيين

في فترة الراحة تقابل الأصدقاء... كان مجدي يتكلم معه كثيراً وكان رامي صامتاً... ثم قاطع حديثه قائلاً كيف هي غادة؟

هل هي بخير؟... هل تذكرني؟

تلجم لسان مجدي فلم يعرف ماذا يقول له.... فقال له إنها بخير وتنتظر عودتك لتكونوا معاً مجدداً

مع الأيام تعود مجدي علي حياته الجديدة التي ظن أنها ستكون حياته إلى النهاية

كان رامي يجتمع بالمساجين يحدثهم عن الثورة والحرية... يحدثهم عن التغيير وعن الدولة الفاضلة التي يحلم بها الجميع.

فكان دائما يلعن الديستوبيا[١٩] ويمجد اليوتوبيا[٢٠]

[١٩] الديستوبيا:- هو مجتمع غير فاضل تسوده الفوضى....عالم وهمي ليس للخير به مكان...يحكمه الشر المطلق من ابرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض

يكره اليمينية[٢١] بسبب ديماجوجية[٢٢] متبعيها ويرى أن اليسارية[٢٣] هي سبيل تقدم تلك البلاد.

كان يلعن البيروقراطية[٢٤] كل يوم ويرى أنها آفة يجب التخلص منها نهائيا.

فهو عالم يتجرد فيه الإنسان من إنسانيته ويتحول فيه المجتمع إلى مجموعه من الحمقى تنازع بعضاها البعض.

[٢٠] اليوتوبيا:- هو مجتمع مثإلى يسوده الخير ولا مكان للشر فيه...عالم يعيش في سلام وأمأن ومساواة
عالم تحكمه الفضيلة والقيم النبيلة والرحمة والعدل والسلام....البساطة هي أبرز ملامحه...يتنافس السكان في هذا المجتمع علي فعل الخير فهو غايتهم والوسيلة.

[٢١] اليمينية:- تيار سياسي محافظ يقوم علي رفض التغير....ويميل إلى الاعتدال في القضايا السياسية والاجتماعية...يؤمن بضرورة الحفاظ علي تقاليد المجتمع وترفض اي تغيرات ولا سيما التغيرات التي تحد من خلال الثورة...تكون اليمينية مؤيدة دائماً للنظام الحاكم لأنها ترفض الخروج عن الحكم والقوانين

[٢٢] ديماجوجية:- هي حالة من الجمود الفكري...يتعصب فيها الشخص لأفكاره لدرجة رفض الاطلاع علي الأفكار المختلفة وإن ظهرت له الدلائل التي تثبت أن أفكاره خاطئة...وسيحاربها بكل ما أوتي من قوة.. أنها حالة شديدة من التعصب للأفكار والمبادئ والقناعات...وهي تعادي كل ما يختلف عنها

[٢٣]اليسارية:- تيار سياسي ينادي بتغير الواقع السياسي والاجتماعي ويطلق علي المعارضة التي تؤمن بفكرة الثورة والانتفاضة من أجل تحقيق المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية بين الافراد...كما يؤمن أن المستقبل مشرق وواعد وأن التغير للأفضل قادم لا محالة

[٢٤]البيروقراطية:- النمط الروتيني الذي تتبعه الحكومات...وهو ما نلمسه عند الاحتكاك بالمصالح الحكومية والمؤسسات التي يتقيد فيها الموظفون بالقوانين بدرجة شديدة وبصورة حرفية... من سماتها البطء في التنفيذ وعرقلة الإجراءات حتي لو كانت هناك طرق مختصرة للوصول للهدف نفسه.

عاش رامي ومجدي علي هذا الحال لمدة خمسة عشر عاماً

انقطعت أخبار العالم الخارجي عنهم.... وكان منفذهم الوحيد لها هم القادمين الجدد للمقبرة والتي سيقضون حياتهم فيها حتي نهايتها

تدهورت الأحوال في البلاد إلى صورة يصعب علي المرء تصورها

فذلك الشعب أصبح في حالة يرثي لها....ويحتاج إلى تغيير شامل.

وفي يوم من الأيام جاء إلى السجن شخص غير مسار حياة مجدي ورامي إلى الأبد.

كان عماد مسؤول الحزب الاشتراكي وقائد المعارضة وكالعادة تمت الإطاحة به.

إن كان يمكننا القول أن رامي كان قائداً وملهما فيمكننا القول أن عماد كان قيصراً... كان صاحب شخصية عظيمة قيادية ومؤثرة كانت كلماته تدخل الآذان ولا تخرج... كان يستطيع الوصول إلى أعماق روحك فقط عن طريق بضع كلمات محدودة.

وفي خلال عدة أشهر فقط.... استطاع عماد إحياء ما قد مات من سنين... وما عجز عنه رامي خلال خمسة عشر عاماً.

فهو من بث الأمل في النفوس.... وأيقظ الأرواح مجدداً لتثور.

لقد أشعل نار الثورة من جديد داخل المساجين... فهو كان يرفض دائماً أن يصدق أن مشوار نضاله قد انتهى هنا وأنه عليه أن يقضي ما تبقي من حياته خلف أسوار هذا السجن.

كانت خطاباته الأكثر حماسة وإشراقاً وكأنه ولد ليكون قائداً.

هذا هو.... هذا هو القائد الذي تستحقه البلاد

كان دائماً يكلم المساجين عن الهرب... عن تكسير القضبان والجري خارجها... لتكوين دولة جديدة... وعلي الرغم من المشاكل العديدة التي تعرض لها رامي بسبب كلامه السطحي الذي لم ينص أبدأ علي محاولة الهروب إلا أنه لم يتعرض أبداً للمضايقة أو حتي اعترض أحد على أسلوبه... ولكنه كان قائداً عظيماً... عظيماً لتلك الدرجة التي تجعلك تتبعه بدون أي تفكير.

صار مجدي مغرماً بالاشتراكية بعد أن كان ينفر منها

أصبح يؤمن بمبادئ ستالين ولينين و تروفيسكي.... وأصبح تابعاً للحزب الاشتراكي قلباً وقالباً.... لقد صار رفيقاً حقيقياً لهم.

ولكل هذا فقد انبهر بعماد وأسلوبه وكلامه وخطاباته التي تسحر النفوس والعقول.

وفي يوم من الأيام عقد عماد اجتماعاً سرياً مع أهم المساجين وطلب منهم تبليغ أوامره إلى بقية المساجين.

لقد عزم علي الهرب... إنها ساعة الصفر.

وكانت الثورة

في اليوم التالي مع نهاية وقت الراحة انتفض جميع المساجين انتفاضة رجل واحد وهاجموا الحراس

تصدت لهم القوات حيناً.... فقتلوا عدداً لا بأس به من المساجين الثوار

مات من مات وأصيب من أصيب ولكن هذا هو ثمن الحرية.... يجب أن يضحي القليل من أجل حياة الكثير.... إنهم ثوار... فهم أدرى الناس بذلك.

كانت إرادة الثوار أقوى من البارود والنار.... وكان عماد يصرخ في الجنود ويقول إنها شهور من السهر والتخطيط لتلك اللحظة التي ستتحرر فيها أرواحكم قبل أجسامكم... إن الحرية لا تقدر بثمن... لن نخسر... إما النصر والثورة.... أو الموت هنا كالأبطال.

لن نموت داخل الزنازين كالفئران ولن نترك حتي يصيب العفن أرواحنا وإرادتنا.... لن نهزم مهما حدث.... فلن يطفئ أحد شرارة الثورة.

كلما نطق عماد بهذه الكلمات ازداد انطلاق المساجين وقوتهم.... حاربوا كما كان يحثهم عماد.... وسيطروا علي القطاع الأول في السجن.... وتراجع السجانون إلى القطاع الثاني ليطلبوا الاستغاثة.

ولكن لم يتلقوا شيئاً.... لم يتلقوا سوى الرصاص والقنابل من المساجين.... كان عماد أعد كل شيء... فقد كان يصنع هو وزملاؤه منجنيق بدائي الصنع من القماش والمطاط.... واستخدمه لإلقاء القنابل علي باقي قطاعات السجن وتدميرها عن بكرة أبيها

وسرعان ما انسحب ما تبقى من الحراس وتركوا أسلحتهم وراءهم وسيطر عماد ومن معه علي السجن وعلي الأسلحة

وخرج عماد إلى الشارع كأنه فتح عكة للتو

كانوا أتباع الحزب الاشتراكي في كل مكان... إنها ثورة عارمة

كما أن السجون كلها قد حدثت فيها أحداث متشابهة... واقتحم المساجين السجون وسيطروا علي السلاح

وعندما رأى الشعب أولادهم وآباءهم يخرجون من السجون بعد أن أخبرتهم الحكومة أنهم ماتوا منذ زمن...عرفوا مدى خداع الحكومة وكيف تتلاعب بهم وبأحلامهم وبأبنائهم...فخرج الشعب كله ثائراً

وسقط الطغيان في أقل من أسبوع واحد.

ما جعل الأمر سريعاً أن الجيش قد انحاز للثوار... مما دفع الحكومة إلى أن تستسلم سريعاً... بدون مقاومة تذكر.

فرح الشعب ورقص فرحاً وتهلل لثورته المجيدة

وتم عمل انتخابات لأول مرة في تاريخ هذه الدول التعيسة.

واختار الشعب عماد مفجر الثورة قائداً لهم.... فقد وجدوا فيه المنقذ... محقق الأحلام... وقاهر النظام الفاشي... إنه البطل المنتظر الذي جاء ليخلص الشعب من الطغاة وينشر الأمن والسلام والحرية

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أعلن عماد النظام الاشتراكي نظاماً رسمياً للبلاد مرة أخرى

ودافع عنه الجميع بأرواحهم ودمائهم

عندما خرج مجدي ورامي من المعتقل.... كانت المرة الأولى التي يشاهدان فيها الشارع منذ عقود.

نظر رامي إلى مجدي وقال له "أنا خائف جداً من لقاء غادة... أخشي أن أكون مجرد ذكري... هذا إن كانت تتذكرني في الأساس".

فنظر مجدي إليه وقال له .... غادة لم تنسك يوماً... وآخر كلمتها كانت عنك... ونظر إلى السماء وقال له... إنها الآن ترانا... بعد أن خرجنا من سجننا... وأنا متأكد أنها سعيدة الآن لأجلنا.

تلجم رامي في مكانه وقال له... ماذا تقصد... هل هذا يعني أن ....

قاطعه مجدي قائلاً.... نعم...لقد رحلت بعد اختفائك بقليل... يبدو أنها كانت تحبك لتلك الدرجة التي جعلتها ماتت عندما فارقتك.

صرخ رامي في وجه مجدي... ولماذا لم تخبرني بهذا من قبل...خمسة عشر عاماً وأنت تقول لي أنها بخير وتنتظرني وأنت تعرف الحقيقة.

قال مجدي... لم يكن لدي أمل في الخروج... لم يكن أحد لديه هذا الأمل... لم أرد أن أجعل سنين سجنك أكثر عذاباً.. .كان يجب أن أعطيك أملاً في الحياة.. .سبباً لكي تبقى حياً.

صرخ رامي في وجه أخبرني أين قبرها.... أخبرني وشهر رامي سلاحه في وجه مجدي.

أخبره مجدي أن غادة تم دفنها في الخلاء المجاور للمدينة.... فلم يكن أهلها يمتلكون ثمن المقابر في هذه الأيام.

زاد ذلك من غضب رامي وقال له... اغرب عن وجهي... اغرب عن وجهي قبل أن اقتلك... وركض بعيداً مسرعاً لا يعرف إلى أين يذهب.

نظر مجدي إلى نفسه وقال جيد.... لقد أعطيت صديقك أملاً كاذباً للحياة لمده خمسة عشر عاماً... وها أنت قد سلبته منه في خمس عشرة دقيقة

وأنت لماذا عشت كل هذه المدة...هل ينتظرك أحد في الخارج؟

نظر إلى السلاح الذي بيده ووجه نحو رأسه... لقد حان الوقت لتموت فلم يبق لك أحد بهذه الحياة.

في هذه اللحظة تذكر أشرف ووعده له... تذكر ورقته فمد يده في جيبه وأخرجها... وقال لنفسه... لقد عشت كل هذه السنين من أجل تلك الورقة... يبدو أنه حان الوقت لأوصل هذه الرسالة لصاحبتها

سأجعل لحياتي هدفاً لأول مرة منذ خمسة عشر عاماً.... فقط مهمة واحدة أخيرة وأترك هذه الحياة... مهمة واحدة أخيرة... أقسم أنني لن أموت بدون أن أتم وعدي لأشرف.

فأنا لا استطيع أن أخذل صديقي... ذلك الصديق الوفي الذي وثق أنني لن أخذله.... هذه مهمتي التي عشت من أجلها... والآن حان وقت تنفيذها.

سافر مجدي إلى تلك البلدة ليكمل مهمته الأخيرة... وعندما سأل عن صاحبة الورقة... أخبروه أنها قد هربت وهجرت المدينة منذ زمن بعيد ولم يعثر والدها أو أي شخص علي أي أثر لها... فمات والدها بسبب حسرته عليها... وماتت والدتها في آثار غارة قد أصابت منزلهم اثناء الحرب.

ولم يعثر لها علي أي أثر حتي الآن.... حتي بيتهم القديم أصبح الآن ملاذاً للصوص وقاطعي الطرق بعد أن عرفوا أنه لا يوجد وريث له كل تلك السنين.

نظر مجدي إلى نفسه وضحك قائلاً... .يبدو أنني سأعيش كثيراً.... يبدو أن العمر لا يزال به بقية

تذكر مجدي كل هذا عندما دخل الحارة القديمة في الحي المنسي القديم ونظر إليها كأنه لا يعرفها... وقال لنفسه

ماذا حدث؟...أين الحارة وأين الذكريات؟... هل هي ويلات الحرب؟

وهل تغير الحروب ملامح الشوارع... وإن غيرت ملامح الشوارع و الطرقات والبيوت ... هل تتغير ملامح الوجوه؟

أكمل مجدي طعامه ونهض ليعاود رحلة بحثه.... ليبحث عن صديق قديم قد طواه النسيان.... ليبحث عن محبوبته التي لم تكن سنون الحرب والسجن كافية لينساها... ليبحث عن صاحبة الجواب الذي أصبحت حياته تتعلق به الآن.... أراد مجدي أن يجد أي شيء...لكنه لم يجد أي شيء سوي الذكريات.... الذكريات التي كانت كفيلة أن تقتله كل يوم ألف مرة.

لم يكره مجدي الحياة تماماً لأنه كان يتوقع تغير أحوال بلاده التي ضحى في سبيلها بشبابه وحريته

ولكن شيئاً لم يتغير

وبعد عدة سنوات انتظر فيها الجميع أن تتحسن فيها أحوال البلاد فقد كسب الشعب حريته.... ورحل الظلم والطغيان.

ولكن خمن ماذا حدث؟؟

ظلت أحوال البلاد من سيء الى أسوأ ومن قبيح إلى أقبح.

وظهرت حقيقة عماد ومن معه

كان عماد ما هو إلا مجرد أداة جديدة في يد الجيش للإطاحة بالحاكم ومن معه وتملك مقاليد الحكم....محاولة جديدة لخداع الشعب مرة أخرى.

اكتشف أن كل شيء كان مجرد خدعة جديدة ليشعروا الشعب أنه مسيطر وأنه صاحب قرار... ليشعروا الشعب أن صوته مسموع وأن إرادته قوية وأنه اختار حاكمه بنفسه.

في الحقيقة... هم اختاروا ما تم فرضه عليهم بدون علمهم.

خدعوهم فقالوا لهم ستحصلون علي الحرية... ولم يعهدوها.

قالوا لهم ستكون لكم حياة كريمة... وساءت أحوالهم أكثر وأكثر.

قالوا لهم ستكون لكم حياة.... وماتوا.

سيكون لكم طعام...وجاعوا.

سيكون لكم مستقبل.... والمستقبل أبعد ما يكون عن مرمى العيون.

كانت الأيام تمر علي مجدي كالدهور فلا يجد في هذه الحياة لا هدف ولا رفيق ولا حبيب.... ولا يعرف فيها أحداً.

وفي يوم من الأيام ضاقت الحياة في وجهه ولم يجد سوى قبر غادة ليزوره..... فعندما دخل إلى هناك... وجد رامي يطوف في المكان يتمسح في القبر ويبكي عليها.... وجده بنفس الملابس

الذي تركه بها منذ سنوات.... وجده قد فقد عقله كلياً..... يعيش في الحياة هائماً على وجه... يندب حظه وينعى غادة ويتمسح بقبرها.

فنظر مجدي إليه وقال.... أضعت شبابك وطاقتك في خدمة هذا الوطن وهذه النتيجة.... يبدو أن المقاومة لم تعد حلاً.... فهذا المجتمع يحتاج إلى إبادة.

وها أنت هنا يا صديقي.... مجذوب يطوف القبور في ثياب بإلية... حمداً لله أنك لا تستطيع الآن أن تدرك أنك اضعت عمرك سدى في اللا شيء... حمداً لله أنك لا ترى الحكومة الجديدة وهي تنتهج نفس منهج الحكومة القديمة البالية.... وكأننا لم نسجن... وكأننا لم نثور... وكأننا ما حملنا أرواحنا علي كفوفنا لترى تلك البلاد النور.

فجرى مجدي وصعد علي قمة مرتفعة أخرج مجدي مسدسه ووضعه علي رأسه وبدأ يصرخ

فلتذهب هذه المدينة إلى الجحيم.... .ولتذهب روحي معها إلى الجحيم ذاته.

ستنتهي تلك المدينة.... ويغرب عنها النور ليشرق علي أكوام القمامة والذباب الذي يغزوها .... وستلمع أكوام القمامة كأنها قبة الجامعة.

ستتسع الشقوق في المدينة لتدمر كل ما هو جميل... وستمتد من الأرض إلى السماء..... ولن يستطيع أحد أن يرممها.

ستموت أشجار اللوز إلى الأبد ولن تنبت مجدداً.... وستسقط واحدة تلو الأخرى... فالجمال لا ينمو في هذا القبح... حتي الطيور التي تسكنها ستهاجر في رحلة بلا عودة.

سيهجر التلاميذ المدارس ويتركونها خاوية... فما فائدة التعليم في بلاد تكره المتعلمين وتنبذ المثقفين وتتهمهم بالخيانة وجرائم الفكر.

ستقف الذبابة بثقة عمياء علي علم البلاد... وسيحييها الناس.. .وستصدق أنها حقاً تحكم البلاد... وستنسى أنها ذبابة.

ستواصل السفن الرحلة من بحر إلى بحر... وستستمر حمامة نوح الكاذبة إخبارهم أنهم سيجدون يوماً الأرض... يحلمون بالأرض لا لشيء ..لكن فقط ليشعروا بنعمة الحرية.

فليذهب العجائز أمثالي إلى الجحيم فنحن بقصد أو بدون..... قد أضعنا هذه البلاد وإلى الأبد

وليحي ويعيش الرضع المولودون بقبضات مشدودة المتهمين بالإرهاب والوحيدون الذين يشعرون حقا بالحرية..... إنهم كلمات تكتب علي لوحة بيضاء.... وباستثناء هؤلاء الأطفال الجميع مزيفون.

إنهم الأمل المنتظر لتلك الأمة التعيسة الشقية... أيها الأطفال.... ستعيشون وستنتصرون.... ستعمرون مدنكم وتمحون الخراب.... ستعيشون أحراراً.... وسترى مدنكم النور

ولنذهب نحن ومدننا وحكمانا إلى جحيم دانتي الأزلي.... فمدننا لم تر النور يوماً.... ويبدو أنها لن تراه مطلقاً

حبوا.... وحافظوا علي حبكم.... وتذكروا جيداً

أن الحب لا ينمو في تلك البلاد التي لا تري النور.

النهاية